



مراجعات

شوال 1438 هـ – يوليو 2017م

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الأطروحات العمانية المهمة التي أنجزت في الخارج، رسالة ماجستير في اللسانيات التطبيقية بعنوان «اللغة والهوية في عُمان: دراسة لأصوات المذيعين العمانيين»، قدمتها هالة النبهانية لجامعة أدنبرا في بريطانيا سنة 2011.

ترى الباحثة أن عمان توفر مجالا مثمرا لدراسة اللسانيات الاجتماعية؛ وينطبق هذا بشكل خاص على لغة المذيعين العمانيين في القنوات المحلية الذين يقدمون من خلال أصواتهم هوية يفترض أنها هوية عمانية. ولكن، كما ترى الباحثة، هناك ضغوط لغوية اجتماعية وسياسية تؤثر على الإمكانيات اللغوية للمذيعين مما يؤدي إلى اختلافها عن اللهجة المحلية.

وتذهب الباحثة إلى أن المذيعين العمانيين لديهم نطق ثانوي لبعض الكلمات؛ واختيار أحدهما دون الآخر ليس عشوائيا، بل ثمة علاقة واضحة بين اختيارهم للنطق والهوية الاجتماعية؛ فاختيار كثير من المذيعين لهجة الخليجية بدلا من التهجئة العمانية لا يعكس الواقع اللغوي في عمان. وتزعم الباحثة بأن هؤلاء المذيعين تبنا سمات لغوية لهجة الخليجية، وهي اللهجة المهيمنة اجتماعيا في الخليج العربي.

تركز الباحثة في دراستها على متغيرين: الأول هو القاف، وله نطقان هما (قاف) وهو صوت لهوي انفجاري أو (جيم) وهو صوت حلقي انفجاري. المتغير الثاني هو (الجيم) وله نطقان أيضا بالتعطيش ورمزه (QJ) وبدون تعطيش كصوت حلقي انفجاري (ج). وتبرر الباحثة اختيارها هذين المتغيرين لكونهما سمة واضحة للهجة العمانية؛ ورغم اشتراكهما في الصوت نفسه فإن أحدهما له خطوة في بعض المناطق والآخر مُستَهَجَن. وتؤكد الباحثة بأن دراستها معنية بالعربية العمانية الحضرية، وتصنفها بأنها هي اللهجة المهيمنة في عُمان، وترى أن افتقارها إلى مكانة إقليمية جعل المذيعين يتكلمون بلهجة الخليج العربي بدلا منها لما تحظى به الأخيرة من اعتبار.

ومن خلال تحليل السلوك اللغوي لخمسة مذيعين عمانيين عبر المتغيرين المذكورين، حاولت هذه الدراسة معرفة ما إذا كان المذيعون يعكسون الواقع اللغوي في عمان، وقد أظهرت الدراسة أن هناك فرقا بين خطاب الجمهور والمذيعين من حيث النطق؛ فبينما يبدو أن معظم المتصلين من الجمهور بالبرامج الإذاعية كانوا يدركون نطق هذين الحرفين، فشل المذيعون في إدراك ذلك.

وقد حاولت الدراسة تفسير النتائج المتعلقة بالجنس كمتغير اجتماعي، ولكن توصلت إلى أن هناك متغيرا اجتماعيا آخر ينبغي النظر فيه، وهو «الجيل الاحترافي» من المذيعين. هذا الجيل، كما تقول الباحثة، هم الذين بدأوا حياتهم المهنية كمذيعين في وسائل الإعلام العمانية؛ وهذا في تقديرها مهم جدا لأن وسائل الإعلام العمانية ظلت متباعدة في مسألة الهوية المحلية لعقود من الزمن، ولكن يبدو أن الجيل الجديد من المذيعين العمانيين على استعداد لتمثيل الهوية العمانية والواقع اللغوي بدلا من إنكار ذلك. وترى الباحثة أن هذه خطوة مهمة في التغلب على «انعدام الأمن اللغوي» الذي كان واضحا في وسائل الإعلام العمانية لسنوات.



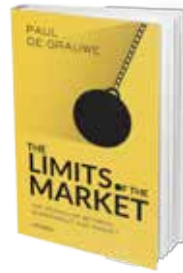
• «دراسة ماهية النقود في سن الشباب»
• كيم سونغ جين



• «الإصلاح»
• جوناثان تيبيرمان



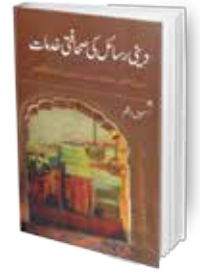
• «القاموس العربي»
• أنجيلو أزيولي



• «حدود السوق»
• بول دي غراو



• «حالة ياوس»
• أوتمار إيتيه



• «الخدمات الصحفية»
• سهيل أنجم



• «التجديد الإسلامي»
• كارولينا راك



• «موسكو - القاهرة»
• ميخائيل بوغدانوف



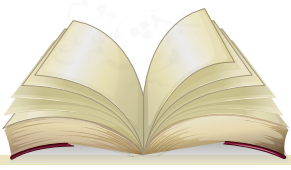
• «التقدم العسكري»
• سيرغي ماكسيموف



• «ديانات قديمة، سياسات حديثة»
• مايكل كوك



• «لا بيانات: أية حرية في عالم رقمي؟»
• جون بول أيمتي



القاموس العربي للجزر في العصر الوسيط أنجيلو أريولي

عز الدين عناية *

ليس الكتاب الذي نتولى عرضه قاموساً جغرافياً للجزر بالمعنى المتعارف عليه للقواميس، بل هو مؤلف جامع تتداخل فيه عديد أصناف التأليف التاريخية والجغرافية والفيولوجية والأدبية حول موضوع الجزر، وهو أقرب إلى الأنطولوجيا والمختارات، وإن آثر صاحبه عنوانه بالقاموس. يتضمّن الكتاب مجموعة من النصوص تدور حول موضوع الجزر، مستخلصة من كتابات عربية تعود إلى الحقبة الوسيطة، تم انتقاؤها بعناية من قبل المؤلف الإيطالي أنجيلو أريولي وترجمتها والتعليق عليها. وعلى العموم يحوي المؤلف في متنه حديثاً حول الجزر تقع وفق الحكيم في بحر الصين والمحيط الهندي وفي أطراف جنوب القارة الإفريقية ثم باتجاه الغرب نحو بحر الظلمات، وهي أحيانا خيالية وأخرى واقعية. فالكتاب هو استعادة لتلك الروايات بشأن طبيعة الحياة وجغرافية المكان، كما تناقلها التجار والرحالة، وما دونته أقلام الأدباء، وما أوردته كتب الإخباريين والجغرافيين.

بما لا يخفى تأثر المؤلف بمنهج الفيولوجيا الألمانية.

ليس الكتاب كتاب مؤرخ يُحصص الأمور، ويعتمد أدوات التدوين والنقد التاريخيين، ولا كتاب جغرافي أو رحالة يتتبع تجاويف تلك الربوع المعزولة واصفاً تضاريسها ومناخاتها، بل هو كتاب أقرب إلى مؤلفات الأدباء مع إيلائه التحليل الفيولوجي أهمية بارزة. ولذا لا يخفى على القارئ ما خلفه «كتاب ألف ليلة وليلة» من أثر عميق في المخيال الغربي تجاه العرب، لا زالت تفاعلاته حاضرة في النظرة العجائبية الممزوجة بأجواء رومانسية ومسحة غرائبية إلى اليوم. وكتاب أريولي ينساق ضمن هذا الفن في الكتابة الخيالية والإيزوتيكية، التي تحاول استعادة تلك الروايات الخلاصة عن الشرق، لكنه في الآن نفسه يرفد نصه بإضافات الناقد المتفحص. حيث يقول المؤلف: «هي جزر تم اختيارها من جانبي، قمتُ بترجمتها لغرض أساسي بقصد عرض رؤى فنطازية» (ص: 25).

ثمة في الكتاب نظرة غرائبية (إيزوتيكية) ممزوجة بنوع من السحر عن الشرق تلبى ذوق العديد من الغربيين، تجد مرجعية في كتب غرائب الشرق وفي الروايات التاريخية الشاذة، والكتاب الحالي بطابعه ذلك يذكي تلك النظرة الحاملة. صحيح أن الموضوع الذي يتطرق إليه أنجيلو أريولي فيه ما يغري القارئ، من خلال المختارات المنتقاة بعناية عن الجزر الغربية وما تتضمنه من مغامرات وعجائب وخوارق. والكتاب يستدرج ويغوي قراء غربيين يتقصّون هذا الصنف من الأدب العجائبي، وربما ذلك مما يفيد ويمتع، لكن المؤلف لا يكتفي بهذا الحشد لما يشدّ القارئ، بل نجده يرفد مختاراته بتعليقات وشروح

القسم الأول والرئيس من الكتاب، وقد أتى معنونا بـ «الكتاب والجزر»، حيث يضرده المؤلف أريولي في مطلع كل مجموعة مختارة من الجزر، مستوحاة من مصنف معين، تعريفاً للمصدر وصاحبه ينحو فيه إلى البحث عن تاريخية المؤلف والشكوك التي حامت حوله أو حول نسبة مؤلفه إليه، معتمداً في ذلك التقصي التاريخي في تدوين سيرته. يلي ذلك حديث صاحب المصدر العربي عن الجزر، الواحدة تلو الأخرى. حيث نقل أنجيلو أريولي نصوص الجزر بأمانة عالية وبلغة إيطالية أنيقة، واتبع في هذا القسم التقليل من الإحالات والاستطرادات إلا ما دعت الحاجة الماسة إليه. حيث يورد في البداية اسم الكاتب ثم يتناول الجزر التي وردت في مؤلفه الجزيرة تلو الأخرى. أتى عدد الجزر متفاوتاً بين كاتب وآخر وذلك بحسب المذكور لديه، وقد حاز هذا القسم ١٦٠ صفحة من مجموع ٣٤٣ صفحة من صفحات الكتاب. أتبع أريولي ذلك القسم بقسم ثانٍ في كتابه بعنوان: «التعليقات»، استغرق ١٣١ صفحة. وتناول فيه كل شاردة وواردة عن تلك الجزر، امتزج فيها التعليق الأدبي بالتدقيق التاريخي وبالإحالات الطريفة المتنوعة والثرية. كما يحاول في عديد المواضع ربط الحديث بالجزيرة ذاتها بأعمال أخرى غربية كلاسيكية كانت أم حديثة. ولكل حديث عن جزيرة واردة في القسم الأول رقمٌ يُحيل إلى التعليق في القسم الثاني، بما ييسر على القارئ التحول من قسم إلى آخر. واعتمد المؤلف في قسم التعليق على مقولات دارسي الماضي والرحالة والجغرافيين، مجمّعاً الأخبار والمعلومات والملاحظات، وبيان إن كانت تتعلق بمواقع حقيقية أم مجرد اختلاقات، معتمداً في ذلك على التدقيق الفيولوجي خصوصاً،

اعتمد المؤلف خطة واضحة في مؤلفه استندت إلى سلسلة من المصادر العربية، صنّف من خلالها كتابه عن الجزر. تغطّي تلك المدونات فترة زمنية تتراوح ما بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر الميلاديين. وكتاب تلك الفترة الممتدة على ستة قرون هم من مثلوا مصادر الحديث عن الجزر، الكثير منهم تحدّث كشاهد عيان، وبعضهم روى عن غيره وبعضهم عاد إلى مصادر قديمة، ومنهم من أشار إلى المصادر ومنهم من غفل عن ذلك أو تغافل.

وأصحاب النصوص المعتمدة من قبل المؤلف الإيطالي لبناء قاموسه حول الجزر هم: التاجر سليمان ونصه مستوحى من مخطوط «أخبار الصين والهند» المودع في المكتبة الوطنية بباريس، وهو يعود إلى العام ٨٥١م؛ ابن الفقيه الهمداني صاحب «كتاب البلدان»؛ بزرگ بن شهريار الرامهرمزي صاحب «كتاب عجائب الهند»؛ ابن واصف شاه صاحب «مختصر العجائب»؛ الشريف الإدريسي صاحب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»؛ القزويني صاحب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات»؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد الدمشقي صاحب «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»؛ ابن بطوطة صاحب «تحفة النظار في عجائب الأمصار»؛ الحميري صاحب «كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار»؛ ابن الوردي صاحب كتاب «خريدة العجائب وفريدة الغرائب».

اعتمد المؤلف الإيطالي خطة واضحة المعالم في التأليف، حيث قدّم لكتابه بمقدمة علمية تطرق فيها إلى المدونات التاريخية التي استخلص منها نصوصه، مبرزاً أن الحديث عن الجزر هو متنوع، يختلط فيه الواقعي بالخيالي، والتاريخي باللاتاريخي، بحسب السياق الذي وردت فيه. شكّل حديث الجزر



الذين استخلص من مؤلفاتهم حديثه عن الجزر إلى جانب جرد بأسماء الجزر وفهرس للمراجع. كما خلا الكتاب خلوا تاما من الرسوم والجداول والخرائط، وأقدر أن الخرائط والرسوم يحتاجها هذا الصنف من التأليف. لكن وبشكل عام الكتاب هو عبارة عن أنطولوجيا جزر مصحوبة بتعليقات.

وبرغم ما قد تبدو في القسم الأول من الكتاب من بساطة ففيه جاذبية للقارئ بشكل عام، لا سيما القارئ الغربي الباحث على المتعة الأدبية والتحليق في أجواء مفعمة بعبق الشرق. وصاحب تلك المنتخبات لم يكتف بذلك القدر، بل أردف كتابه بتفحص لتلك النصوص، وهو ما يشفي غليل الدارس المدقق والمتمعن في خبايا النصوص. ولذا يلبي الكتاب حاجة طائفتين من القراء: القارئ النهم والمتعطش للحكي والقارئ المتمعن والمدقق في خبايا النصوص. أعتبر أن الكتاب حقق غرضه، وهو كتاب ناجح ومقروء

لا سيما وكما ذكرت أن هناك استعدادا في المخيال الغربي لتقبل هذه النصوص ذات الطابع السحري عن الشرق. وهو ما جعل الكتاب يحظى بترحيب معتبر في الصحافة الإيطالية ويلقى قبولا حسنا. فطابعا الحكي والفضنطازيا للكتاب يذكران بمؤلف «ألف ليلة وليلة» المثير للمخيل الغربي. وإن تكن جل الحكايات المتعلقة بالجزر الواردة في الكتاب معروفة لدى القارئ المطلع على أمهات التراث العربي، فإن الجميل هذا التجميع للمتناثر، فضلا عما يضيفه المؤلف من تحليل لنصوص قد تبدو غامضة في بعض الأحيان خصوصا لدى القارئ غير الملم بهذا المجال. فمرويات الحكي الغرائبي في التراث العربي التعاطي معها بأسلوب التحليل الفيلولوجي والدخول في غورها، هو شيء مفيد لا سيما مع وفرة الإيحاءات.

لا بد أن نشير إلى ظرف مهم صدر فيه كتاب أريولي، إذ لا يخفى أن ثمة سيلا من الكتابات السياسية الاستهلاكية ذات الطابع الدعائي والمغرض في الغرب. باتت تتصدر مصادر الاطلاع عن العرب وحضارتهم وأديانهم، وهي كتابات تطمس ما في غور الثقافة العربية من سمو وبهاء وإبداع وتنوع. كتاب أريولي محاولة هادئة وموفقة للوقوف في صف عرض الجانب النير من ثقافة العرب، داخل أوضاع مضطربة طغت عليها السياسة.

الكتاب: القاموس العربي للجزر في العصر الوسيط.

تأليف: أنجيلو أريولي.

الناشر: منشورات أدلضي (ميلانو) «باللغة الإيطالية».

سنة النشر: ٢٠١٦.

عدد الصفحات: ٣٤٣ ص.

* أستاذ تونسي بجامعة روما



يطلع على النص في لغته الأصلية وفي ترجماته في الألسن الغربية ليصوغ بعد ذلك ترجمته للنصوص المختارة. فقد تعامل أريولي مع الحضارة العربية تعاملًا استشراقيا باردا، لكن ذلك لا يخفي كلفه بالبعد الغرائبي في الثقافة العربية، وليس هناك ما يشي بأن الكتاب يتضمن نزعة مركزية غربية في تعليقات صاحبه. فالكتاب قيم ومفيد، خصوصا وأنه لا ينساق ضمن موجة الشيطنة لكل ما هو عربي، بل لعله يخلف انطبعا حسنا لدى قارئه.

فالمؤلف لغته الإيطالية راقية وأسلوبه واضح، حيث أتت الترجمة أمينة والصياغة سلسلة علاوة على تميز الكاتب بدوق أدبي رفيع. وبوصف الكتاب عبارة عن إعادة ترتيب لطرائف وروايات موضوعها الجزر، وبما يشبه نوعا ما الأنطولوجيا ذات المضامين الجغرافية والتاريخية. حاول الكاتب في تعليقاته وشروحه اعتماد لغة راقية جاءت مفعمة بالحس الأدبي. أسعف المؤلف إمامه بخبايا فيلولوجيا العربية قدرة على التحكم في دلالات نصوصه التي اشتغل عليها.

يبدو التدقيق اللغوي سواء العربي أو الإيطالي بارزا في نص الكاتب، وهو ما يشي بتعامل دقيق وعميق مع النصوص التي اشتغل عليها. ولعل تلك التدقيقات في القسم الثاني من الكتاب بالخصوص، هو ما يجعلها أقرب إلى اهتمامات الباحثين والدارسين. وهو ما أتى على خلاف القسم الأول الذي أقدّر أن قراءته يسيرة على غير المختص وعلى الباحث عن المتعة الأدبية لا غير.

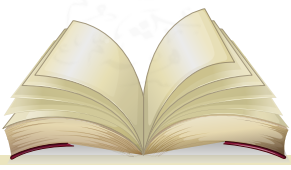
هذا وقد خلا الكتاب من الفهارس الضرورية، حيث اعتمد صاحبه ضمن التعليقات والحواشي تفسير كل ما ورد مبهما أو غائما في نصوص الجزر، ولم يضمّن المؤلف كتابه سوى فهرس عام أدرج فيه أسماء الكتاب

لا تقل أهمية عن النصوص الواردة في القسم الأول، تنحو صوب الواقعية والنقد والتمحيص، الأمر الذي يجعل الكتاب مقروءا من قبل فئتين من القراء: الباحثين عن المتعة الأدبية العاجلة والمقتضين للتدقيق التاريخي والفيلولوجي.

ولا يخفى على المطلع على كتاب «القاموس العربي للجزر في العصر الوسيط» لأريولي ما يثيره لديه من تواشج في حديث صاحبه عن الجزر مع كتاب «مدن لا مرئية» لإيتالو كالفينو وكتاب «المخلوقات الوهمية» لخورخي بورخيس، وهو ما يصرح به الكاتب ويقرّ به في مقدمة كتابه، حيث ينطلق بك الكتاب من الأسطوري ليسحبك إلى حضان الواقع والتاريخ والعكس أيضا، وهو أسلوب أتقنه مؤلف الكتاب. ولكن يبقى الكتاب بوجه عام تنمة لمؤلفين سابقين نُشرا حول الموضوع ذاته: «الجزر الخلابية. رحلة عربية في العصور الوسيطة» (١٩٨٩) و «المدن الخلابية: متاهة عربية في العصر الوسيط» (٢٠٠٣)،

كان أريولي قد نشرهما في فترة سابقة. فيما يتعلق بالمؤلف، لم يميز صاحب الكتاب انشغال بالبحث العلمي طيلة مشواره الجامعي التعليمي المطول، ولا شغف ثقافي بحقل الدراسات العربية، مع أنه أستاذ اللغة والأدب العربية أو «مستعرب» كما يقدم نفسه. وبشكل عام أنجيلو أريولي مقل في الكتابة رغم أنه ترع على قسم الدراسات العربية في كلية الدراسات الشرقية في جامعة روما لاسابيينسا طيلة عقود حتى إحالته على التقاعد، حيث لا يتجاوز رصيده المنشور ثلاثة مؤلفات. وكسائر جيل المستعربين الإيطاليين في الحقبة المعاصرة، لا يتقن أريولي العربية مشافهة، وليس بوسع التعامل مع نص عربي حديث أو قديم دون الالتجاء إلى القاموس، وإن درّس المؤلف مواد العربية: النحو والترجمة والأدب الكلاسيكي في جامعة روما. فقد اعتمد منهج تدريس يماثل منهج تدريس اللغات الميتة، حيث يجري تحليل التراكيب العربية وشرح النحو العربي باللغة الإيطالية مع ضرب أمثلة محدودة في ذلك بالعربية، وهو أسلوب سائد في تدريس اللغات الشرقية الحية منها والميتة. غير أن هذا النقص في منهج تدريس العربية لديه، وهو نقیصة عامة في إيطاليا وليس خاصا به، ينبغي ألا يحول دون الإقرار للرجل بأنه مدقق في ما يقول ومثبت في ما يكتب.

ففي كتابه الذي نتولى عرضه، عاد أنجيلو أريولي إلى عديد المصادر العربية التي تناولت نصوصه المختارة، وهي مصادر تاريخية وكتب رحالة وقواميس بالأساس. تابع وقارن من خلالها مصادر الحديث عن تلك الجزر، كما عاد إلى بعض المؤلفات الغربية الكلاسيكية ذات الصلة. لكن أرجح أن الكاتب كان



الإصلاح: كيف تنجو الأمم وتزدهر في عالم يتداعى؟ جوناثان تبيرمان

فينان نبيل *

يعيش العالم اليوم لحظة من الخوف والمعاناة من المشاكل الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، التي يراها الجميع غير قابلة للحل، تتمثل في تزايد عدم المساواة، والهجرة، وانتشار التطرف من مختلف الأطياف، والحرب الأهلية، والفساد، وصعوبة انتقال الدول من مرحلة النجاح التنموي إلى مصاف الدول الغنية، في هذا المناخ المحبط، يقدم «جوناثان تبيرمان» رؤية متفائلة تجاه عملية إصلاح العالم، من خلال تحليل وضع المجتمع الدولي في وقت يعاني فيه عالم الأفكار من فراغ كبير، يسلط الضوء على تجارب إصلاح للسياسات والاقتصاديات في العديد من دول العالم التي حسنت بشكل كبير من دخل الفرد على مدى السنوات الخمسين الماضية. وقام بتوصيف طبيعة الأزمات وطرق حلها، وقدم عددا من النماذج التي تمكنت فيها قيادات قوية ذات كاريزما من التغلب على تلك المشاكل، من أمثلة ذلك القضاء على الفساد في سنغافورة، والهجرة في كندا، والفقر في البرازيل، وكوريا الجنوبية وبوتسوانا، وإلى أي مدى يمكن نقل هذه النماذج الناجحة عبر البلدان.

حاول الكاتب إثبات أن معظم أزمات عالمنا المعاصر كان محورها الاقتصاد، وتطرق بشيء من التفصيل إلى تدهور الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط، والصراعات المسلحة الدائرة حاليا في المنطقة، وتطور موجات الربيع العربي في اتجاه سلبي معاكس وما ترتب على ذلك من تردي الأوضاع بشكل عام.

الأسر، حتى تستطيع أن تترك الأطفال يتعلمون، حتى لا يكون الفقر والمرض وراثيا وطبقيا، ساهم البرنامج في انتشار ٤٥ مليون فقير من تحت خط الفقر والموت جوعاً وفق إحصائيات برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وتم اعتبارها «الحل السحري للتنمية».

ناقش الكاتب تجربة سنغافورة في القضاء على الفساد بقيادة رئيس الوزراء «لي كوان يو» والتي فرضت نفسها من اليوم الأول الذي نشأت فيه «دولة ما بعد الاستعمار» وكان على القادة الجدد الذين وقع على عاتقهم عبء بناء دولة مستقلة، تغيير هذا الواقع المريع لإنقاذ البلاد، عندما نجحوا في الانتخابات سنة ١٩٥٩ قرروا تنقية البلاد من كل أشكال الفساد. وتحولت فكرتهم إلى مشروع وطني وإنجاز جعل تلك الدولة الصغيرة تكتسب سمعة عالمية على أنها من الدول الأقل فسادا، كانت الإرادة السياسية مصدر النجاح في بناء «حكومة نظيفة» وتجسيدها لهذا المبدأ حاكم «كوان يو» كثيرا من وزراء وشخصيات عامة بسبب ممارسات فاسدة، اعتبر «كوان يو» أن الشرط الضروري لوجود حكومة نظيفة يبدأ من مرحلة الانتخابات، فكلما كان المال الملوث هو مصدر المنصب السياسي، سيتحول العمل السياسي إلى عبء ليس على العملية الانتخابية فحسب بل على نظافة المؤسسة الحكومية، ونظافة الجهاز الإداري والبيروقراطية

العربية والأجنبية إليها مصدرا رئيسيا للدخل القومي، فضلا عن استيعابها لجزء كبير من القوى العاملة.

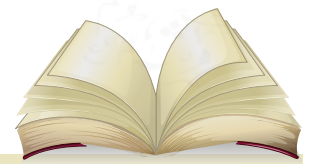
أكد المؤلف أن دول الربيع العربي لن تنجح في تخطي المرحلة الانتقالية إلا بتحسين أوضاعها الاقتصادية. فدول الشرق الأوسط الآن تعيش مرحلة اقتصادية تقوم على استعادة الاستثمار، ووضع حلول سريعة للمشكلات التي قامت من أجلها الثورات، خاصة ما يرتبط بالفرد، الذي هو العنصر الأساسي في عمليات النمو والتنمية الاقتصادية.

تناول الكاتب «تجربة البرازيل التنموية» فقد أصيب رجال الأعمال بالرعب في البداية بعد انتخاب «لولا دا سيلفا» رئيسا للبلاد عام ٢٠٠٢، فهو الزعيم العمالي الصلب، الذي عانى في طفولته من الفقر المدقع، وكان من المتوقع أن ينتهج سياسات اقتصادية يسارية، ولكنه «تحول إلى مصلح عظيم»، قدم نموذجا جديدا لبرامج الإعانة الاجتماعية، من أجل معالجة الضخمة الضخمة في دخول البرازيليين والمعروف ببرنامج «بولسا فاميليا»، والذي لم يكن برنامجا لإعطاء إعانات مالية لمساعدة الفقراء فقط، وإنما كان مشروطا، حيث إن المواطن لا يحصل على هذه الإعانة في حالة عدم التزامه بإرسال أولاده إلى المدارس، أو عدم التزامه بإعطائهم الأمصال الوقائية. وكان الهدف من البرنامج هو مساعدة

يري تبيرمان أن فشل عدد كبير من حكومات العالم في إدارة اقتصادات بلادها، يعود إلى ثلاثة عوامل رئيسية، تتمثل في:

أولا: مطالبات الشعوب للحكومات بتحسين الوضع الاقتصادي، وظروف المعيشة، خلال فترة زمنية محدودة، لا تتناسب مع الخطط متوسطة وطويلة المدى التي تضعها الحكومات. ثانيا: ضعف مؤسسات الدولة التي تقوم على تنفيذ عملية التحول والانتقال إلى الوضع الجديد على المستويين السياسي والاقتصادي.

ثالثا: محدودية الموارد المالية المتوافرة لتمويل مرحلة التحول الحرجة، سياسيا واقتصاديا، وهو ما يتفاقم مع ارتفاع معدلات الفساد المالي والإداري، وزيادة حجم الديون الخارجية والمحلية، التي تمثل فقدا من مقدرات المواطنين والأجيال القادمة. أما في بلدان الربيع العربي تحديدا، فقد رأى الكاتب أن جزءا كبيرا من أزماتها الاقتصادية يعود إلى اعتمادها على قطاع السياحة، وهو القطاع الذي تراجع أخيرا كثيرا، وحقق خسائر كبيرة لم تشمل فقط البلدان التي هزتها رياح التغيير، بل طالت تلك التي ظلت بعيدة عن تغيير الأنظمة، وشملت الخسائر مصر، وتونس، واليمن، وسوريا تحديدا، إضافة إلى دول أخرى لم تستطع أن تنأى بنفسها عن التأثير بما يجري في محيطها الإقليمي، مثل: لبنان، والمغرب، والأردن، وهي دول تشكل السياحة



إلى الطاقات البشرية الهائلة التي تمتلكها تلك البلدان، والتي قد تمكنها من تحقيق أهداف التنمية الشاملة، والتغلب على التحديات التي تراكمت قبل الثورات، أو كنتيجة لها. ولكنه يرى أن التحدي الأكبر الذي يواجه مستقبل عمليات التنمية في هذه الدول يتمثل في درجة وعي الأنظمة السياسية بأهمية بناء نظام ديمقراطي حقيقي، يكفل العدالة الاجتماعية، ويسعى لمحاربة الفساد وتقويضه على المستويات كافة.

ووفقاً لتيبرمان، لابد على دول الربيع العربي أن تتبنى سياسات عامة على المديين القصير والمتوسط، تواجه التضخم، والبطالة، في ظل العجز الحكومي، وسياسة السوق الحرة. أما على المدى الطويل، فلا بد على هذه الدول أن تعمل على تحرير اقتصاداتها، وإطلاق روح المبادرات الضرية لدى الشباب، مع توفير التمويل اللازم لتحقيق أهداف التنمية. كما يجب على الحكومات أن تعمل وفق سياسات منحاذا لمصالح الشعوب، ومستقبل الأجيال القادمة، وذلك من خلال توفير فرص العمل، وتنشيط القطاعات المنتجة محلياً، ودعم القدرة على المنافسة، وهو ما يتطلب مزيداً من المشروعات، خاصة الصغيرة، والمتوسطة، ومتناهية الصغر، التي تستوعب البطالة في هذه البلدان.

يركز الكاتب على القادة ذوي الكاريزما فيذكر الطريقة التي استخدمها الرئيس «الرواندي بول كاجامي» لقيادة شعبه نحو تحقيق ملحوظ للعدالة والمصالحة بعد مذبحه المليون «توتسي» من قبل أكثرية «الهوتو»، وكيف أصبحت إندونيسيا مكاناً للتعايش السلمي اليوم بين الإسلام والديمقراطية والحداثة وحقوق المرأة، بدلاً من تحولها إلى مسرح لصعود التطرف الإسلامي، يركز كتاب «الإصلاح» على تقديم حالة من الأمل، في ظل وضع سياسي واقتصادي واجتماعي يبدو قاتماً ومتشائماً. يقدم نماذج لقادة استطاعوا التغلب على الحواجز لأنهم كانوا على استعداد للتفكير «خارج الصندوق».

عنوان الكتاب: الإصلاح: كيف تنجو الأمم

وتزدهر في عالم يتداعى؟

المؤلف: جوناثان تيبرمان

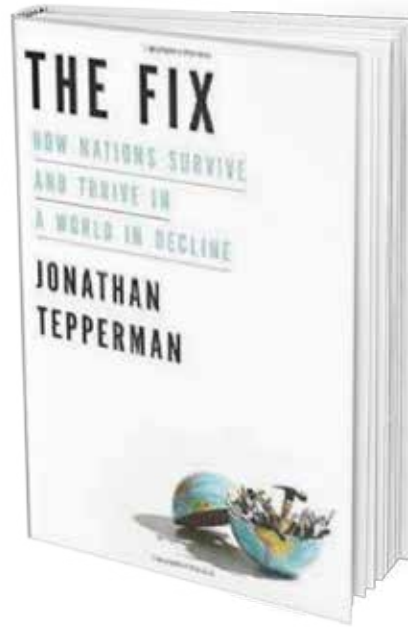
الناشر: New York: Tim Duggan Books

٢٠١٦

عدد الصفحات: ٣٠٧

اللغة: الإنجليزية

* كاتبة وباحثة مصرية



دولار في ٢٠٠٥/٢٠٠٦) تمتلك الدولة حصة ٥٠٪ من «دبسونان» أكبر شركة مناجم ألماس في بوتسوانا، توفر الصناعات المعدنية نحو ٤٠٪ من مجموع الإيرادات الحكومية. في عام ٢٠٠٧ تم اكتشاف كميات كبيرة من اليورانيوم وبدء التعدين بحلول عام ٢٠١٠، حيث يعود التنقيب عن الألماس والذهب واليورانيوم والنحاس والنفط بنتائج إيجابية. على الرغم من ذلك أعلنت الحكومة أنها ستحاول التحول عن الاعتماد الاقتصادي على الألماس بسبب المخاوف الخطيرة حول نضوبه من بوتسوانا على مدى السنوات العشرين المقبلة.

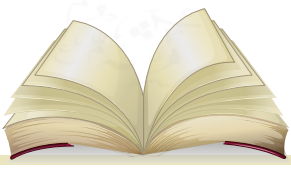
نظام بوتسوانا المصري التنافسي أحد أكثر الأنظمة تقدماً في إفريقيا. حيث تلتزم بالمعايير العالمية في الشفافية في السياسات المالية والرقابة المصرفية، ويوفر القطاع المالي الوصول إلى وفرة من القروض لأصحاب المشاريع. تشارك الحكومة في القطاع المصرفي من خلال المؤسسات المالية المملوكة للدولة وبرنامج خاص للحواجز المالية التي تهدف إلى رفع مكانة بوتسوانا كمركز مالي. يتم تخصيص الائتمان وفقاً لشروط السوق وعلى الرغم من أن الحكومة تقدم قروضاً مدعومة، تواصل إصلاح المؤسسات المالية غير المصرفية في السنوات الأخيرة ولا سيما من خلال إنشاء وكالة للرقابة المالية التي توفر إشرافاً أكثر فعالية. ألغت الحكومة الرقابة على أسعار صرف العملات ومع إنشاء خيارات الاستثمار الجديدة في الحوافز المالية، فإن بورصة الأسهم في بوتسوانا في نمو مستمر. يحمل الكتاب رؤية إيجابية حول مستقبل نمو «اقتصادات دول الربيع العربي»، وذلك استناداً

الرسمية. لعبت القوانين المرافقة لاستراتيجية مكافحة الفساد في سنغافورة دوراً مهماً في تحقيق أهداف هذه الاستراتيجية فقد سنت تشريعات قانونية ضد الفساد وشدت العقوبة وتوسعت دائرة المساءلة القانونية، وأنشئت تنظيمات إدارية ضد الفساد: منها، تسهيل الإجراءات الإدارية، وسد الثغرات التي تؤدي إلى التعسف في استغلال المنصب، ومراجعة رواتب موظفي القطاع العام حتى تتناسب مع مستويات المعيشة، ووضع شروط لإلغاء العقود مع مقدمي الخدمة حتى في وقت لاحق في حالة اكتشاف أن العقد تم تنفيذه بناء على محسوبية أو تفضيل غير مبرر قانونياً، ووضعت مخططات وقائية ضد الفساد، حيث يحظر على موظف القطاع العام أن يكون خاضعاً لظرف مالي لأي شخص يتعامل معه، كما يتم الإعلان عن الأصول التي يملكها الموظف الحكومي أثناء تعيينه وفي كل سنة، كما يحظر عليه القيام بأي عمل مواز أو الانخراط في نشاط بيع أو شراء ما دام موظفاً في الجهاز الحكومي.

بدأت سنغافورة التصنيع بخطوات سريعة منذ أوائل الستينيات من القرن العشرين الميلادي، وأنشأت هيئة التنمية الاقتصادية عام ١٩٦١م للنهوض بالصناعة بصفها العامل الأساسي للنمو الاقتصادي. وقد افتتحت مدينة «جورونغ» الصناعية في الجزء الغربي من الجزيرة وقد ركز البرنامج الاقتصادي في البداية على الصناعات ذات الكثافة العمالية المرتفعة للمساعدة على حل مشكلات البطالة التي سادت في أوائل الستينيات. بعد نجاح هذا البرنامج، انتقلت سنغافورة إلى الصناعات ذات المهارة العالية، ومنذ الثمانينيات من القرن العشرين، بدأت تركز على الصناعات ذات التقنية المتقدمة.

استعرض الكاتب تجربة «بوتسوانا» بعد الاستقلال كواحدة من أسرع الدول في معدلات النمو في نصيب الفرد من الدخل في العالم، وتحولها من واحدة من أفقر البلدان في العالم إلى فئة البلدان المتوسطة الدخل، بلغ متوسط النمو الاقتصادي وفقاً لصندوق النقد الدولي أكثر من ٩٪ بين (١٩٦٦: ١٩٩٩). بوتسوانا لديها مستوى عالٍ من الحرية الاقتصادية مقارنة مع بلدان أفريقية أخرى. حافظت الحكومة على سياسة مالية سليمة على الرغم من العجز في الميزانية في ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ على التوالي، ومستوى لا يكاد يذكر من الديون الخارجية. حصلت البلاد على أعلى تصنيف ائتماني في إفريقيا وكادت احتياطات النقد الأجنبي (أكثر من ٧ مليارات





دراسة ماهية النقود في سنّ الشباب كيم سونغ جين

محمود عبد الغفار *

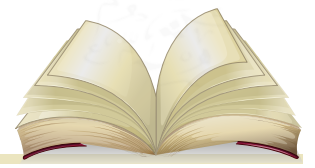
على غلاف الكتاب وفوق العنوان تأتي عبارة بخط صغير: «إن أردت أن تتحرر من أسر النقود في حياتك، عليك أن تبدأ في دراستها من سن العشرين!» هذه العبارة الكاشفة ربما تتصل بشخصية المؤلف الذي لم يتجاوز العقد الرابع من عمره. أما صورة الغلاف فهي لقلم رصاص في نهايته ممحاة؛ كناية عن الدراسة والتعلم ووقوع الأخطاء ثم تجاوزها ومحوها. هناك أيضاً رمز العملة الأمريكية «الدولار» الذي له صلة وثيقة بموضوع الكتاب من ناحيتين: الأولى أن المؤلف بدأ برنامجه الذاتي الطموح في اكتساب النقود بعهد قطعه على نفسه؛ ألا وهو ادخار «تسعين ألف دولار» خلال خمسة أعوام وإلا سينتحر. والثاني أنه العملة العالمية في مجال استثمار المال والأعمال بشكل عام. أسفل هذه الصورة الموحية تأتي عبارات تتعلق ربما بتجربة المؤلف الخاصة مع النقود، فلأنه يكره مسألة الاستسلام لعدم كسب النقود شرع في دراستها بيقين أنه إن حصل على مائة مليون وون كوري في سن الخامسة والعشرين، فسوف يتمكن من تحقيق مليار وون في الثلاثين!

المؤلف مفاده «أنا الذي عشت في شقة صغيرة من حجرة واحدة ادخرت تسعين ألف دولار في سن الخامسة والعشرين». وفيما يبدو أن هذا الشاب الثري يقرأ كثيراً ويحب دائماً أن يضع اقتباسات لمقولات الفلاسفة ورجال الأعمال والساسة في كتابه. يتوقف الفصل ليناقد أهمية البدء بتأمل الذات ودراستها في سن العشرين. ويلفت نظر الشباب إلى مسألة ربما تغيب عن أذهانهم؛ ألا وهي أنه كلما ازدادت المؤهلات التي تطلبها الشركة في المتقدم لشغل وظيفة لديها كلما كانت الوظيفة صعبة. وكلما ازدادت صعوبة العمل ارتفع سقف مطالبنا بالحصول على مكافآت وازدادت رغبتنا في الحصول على المال. لكن العجيب والسخيف في هذا الأمر أنه للحصول على تلك المكافآت علينا العمل أكثر وأكثر. وبتكرار هذه العملية نجد أنفسنا في غاية الحيرة بعد فترة رغم حصولنا على مال أكثر كل مرة لأن حياتنا تصبح خاوية ورتيبة. أما تحت عنوان «ليس لدينا المال ولا الخبرة ولكن لدينا الوقت» فيناقش فكرتين: الوقت أهم ما نملكه في هذا الحياة، وقيمة المنتج تتحدد وفقاً لمدى رغبة الناس في شرائه. والحياة أيضاً على هذه الشاكلة؛ فما يجعلني سعيداً ليس الوقت الذي أمضيه مستمتعاً بتحقيق هدي وإنما بذلك الوقت الذي كنت أكافح الحياة فيه لبلوغ ذلك الهدف. ومما يستحق الشكر والثناء أن الحياة تمنحنا الوقت الكافي لمثل هذا الكفاح ثم

أفلسست بعد أن خسر والده وظيفته بسبب تعثر الشركة التي كان يعمل بها. عاش «كيم» تلك الأيام الصعبة التي تمنى خلالها لو انتهى أجله عند هذا الحد. في ذلك الوقت قطع على نفسه عهداً؛ فقد قرر الانتحار لو لم يدخر تسعين ألف دولار خلال خمس سنوات! ثم شرع على الفور في دراسة أساليب استثمار النقود، واتبع خطاً معيناً حتى تحقق له ما أراد به بالفعل، ثم وضع اسمه في مقابلة بإحدى الجرائد المهتمة بالاستثمار تحت عنوان «اقتصاد كل يوم» كمستثمر محترف مع أنه ما يزال طالباً بالجامعة! هو الآن في الثلاثينيات من عمره ولم يحقق من الثراء ما يجعله أحد أثرياء كوريا مثلاً لكنه خطّ هذا الكتاب لعدة أسباب - مساعدة الفقراء تحديداً على التخطيط الآمن لمستقبل إنفاقهم وتعاملهم مع النقود في هذا الزمن الصعب - توجيه رسالة قوية للأجيال الجديدة وللناس بشكل عام: «ن كنتُ أنا قد تمكنتُ من تحقيق طموحي فهذا يعني أنه يمكنكم جميعاً بلوغ ما تحلمون به». - لفت الانتباه إلى أحد أهم متطلبات الاستثمار الناجح؛ التحلي بالشجاعة وسرعة اتخاذ القرار. ولهذا اختتم مقدمة الكتاب بهذه العبارة: «يا شباب كوريا! عندما تكونون على أتم استعداد، عليكم أن تبدأوا فوراً.» يتألف الكتاب من ستة فصول. جاء الفصل الأول بعنوان «دراسة تقنيات الاستثمار أكثر أهمية من البحث عن وظيفة!» بعد اقتباس على لسان

في مقدمة الكتاب يستعرض المؤلف (كيم سونغ جين) حكايته مع النقود. فقد كان يعيش في شقة من حجرة واحدة بإيجار لا يزيد عن مائة دولار في الشهر لكي يدخر من النقود ما يكفي للقيام بالاستثمار، فقد كان على دراية تامة بأمرين: الادخار والاستثمار. وقد ظل يحاول ذلك جاهداً رغم ارتكابه العديد من الأخطاء (لعل القلم الرصاص على غلاف الكتاب له إحياءات مهمة في هذا السياق على نحو ما أشرنا من قبل). في تلك المرحلة أيضاً أدرك «كيم» أمراً بالغ الأهمية يتعلق بطبيعة الاستثمار كما فهمه: «على المرء أن يستثمر نقوده بانتظام في منتجات جيدة. صحيح أن الادخار مفيد ولكنه يجب أن يكون مرحلة مؤقتة لأن الاستثمار يحقق أرباحاً تفوق أية فوائد يحققها الادخار». عند هذا الحد من الإدراك شرع «كيم» في دراسة تقنيات الاستثمار. وقد سجل في هذا الكتاب كل تفاصيل رحلته مع النقود ادخاراً واستثماراً عبر المحاولة والخطأ لأجل أن يفيد منها القراء.

أما عن شخصية المؤلف «كيم سونغ جين» فهو رجل أعمال الآن، وهو صاحب ماركة معروفة «ويدبنج بونج»، كما أنه مهووس بتقنيات استثمار الأموال إلى الحد الذي يرى معه أنه جاء إلى الحياة لأجل ولوج هذا الدرب وتعبه وكشف كل خباياه وأسراره. عندما كان طالباً في المرحلة الثانوية، وفي الوقت الذي انشغل فيه كل أقرانه بالإعداد للالتحاق بالجامعة، كانت أسرته قد



يحصل عليها بنفسه نتيجة لعمله. النصيحة الأخرى هي ضرورة الثقة بالنفس واتخاذ المبادرة عند الشعور بالاستعداد التام.

الفصل السادس والأخير من الكتاب بعنوان «عندما تدرس ما يتعلق بالنقود فأنت تدرس ما يتعلق بالحياة في الوقت نفسه». فصل ختامي مناسب جداً لكل القراء لا المهتمين بالاستثمار فحسب. والاقتباس الذي يضعه المؤلف في مفتتح الفصل اقتباس شعري يبلغ جداً للألم تيريزا: «إن ما نقوم به الآن قد يكون أقل وأضال من قطرة الماء في البحر، لكن البحر عندما يفتقر إلى تلك القطرة فإن ماءه سيتناقص». السؤال الأهم الآن الموجه للقارئ- على نحو ما يقول المؤلف- هو: لأجل أي شيء تحيا الآن؟ إن الذين كسبوا الكثير من الأموال لا يقولون أبداً أنهم عملوا لأجل المال، بل إنهم عملوا بكل اجتهاد في مجالهم ثم أتاهم المال الوفير تبعاً. ولهذا وضع المال خلف ظهره وأخلص في عمله وثق بأن المال سيتبعك. ولا تنس أيضاً أيها القارئ أن المال للإفناق بينما الوقت للاستمتاع. عليك أن تتعلم ذلك وأن تتذكر أن ابتسامتك الأخيرة كانت نابعة من قدرتك على تنظيم وقتك وتعلم كيفية الاستمتاع به. صحيح إن الكتب فيها خبرات وعوالم لا تنضب لكنها تطرح الأسئلة التي لن نجد الإجابات عنها إلا في تجارب البشر الذين نعيشهم. ثم يختتم المؤلف كلامه بنقطتين: الأولى تتعلق بدوافعه لدراسة المال من أجل فهم ذاته وفهم الحياة والعثور على إجابات كثيرة يتعذر على غيره معرفتها بسبب اعتيادهم التعامل مع ما يكسبونه من أموال بشكل تقليدي. الثاني يتعلق بفكرة أن عدم وجود ما يعمل المرء لا يعني أنه ليس عليه القيام بأي شيء على الإطلاق. فلحظة تأمل صادقة بتطلع نحو المستقبل كفيلة بأن يبدأ المرء أول خطوة جادة لصنع أسطوره الخاصة. وبهذه العبارة التفاؤلية التي تمنح الكثير من الطاقة الإيجابية ينتهي هذا الكتاب الممتع.

اسم الكتاب: دراسة ماهية النقود في سنن الشباب
اسم المؤلف: كيم سونغ جين
الناشر: جاشيو بيا
اللغة: الكورية
سنة النشر: ديسمبر 2016
عدد الصفحات: 224

* مدرس الأدب الحديث والمقارن، كلية الآداب - جامعة القاهرة



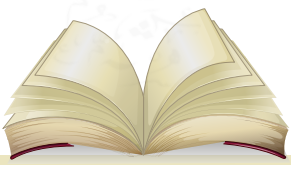
مثل؛ عندما تعرف عن الفائدة المركبة يمكنك أن ترى كيف تستثمر أموالك. الحقائق حول الفوائد المركبة للمدخرات. استخدام حسابات ادخارية خاصة ومتعددة. كل ما عليك فعله هو أن تقر ما تقوم به من عدمه. ادخار تسعين ألف دولار في خمس سنوات. التقنيات لا تتغلب على العقل.

الفصل الرابع بعنوان «المستوى المتقدم لأول استثمار جاد في حياتك». وفي هذا الفصل غطى المؤلف النقاط التالية: الفرق الخادع بين تداول رأس المال في البورصة ورأس المال نفسه. ثم أتبع المؤلف ذلك بعدد من الأمور المتعلقة بتداول المال في البورصة بشكل اختصاصي وتقني لينتقل منه إلى مسألة كيفية اكتساب المال وأوجه إنفاقه، ثم الشكل الأمثل لاستراتيجية استثمار قوية هو «4-4-2»، وأخيراً أهم ثلاثة أشكال للمال في كوريا «الوون الكوري، الدولار الأمريكي، الذهب»، ويختتم هذا الفصل بثلاثة أمثلة لفشل استثمار الشهادات والسندات المالية. في الفصل الخامس بعنوان «القواعد التي ينبغي عليك معرفتها لتعيش كشخص غني» ويبدأ هذا الفصل باقتباس من سقراط يقول فيه «الذي يقدر على أن يحرك نفسه يستطيع تحريك العالم». ويغطي هذا الفصل عدداً من الأفكار عن طبيعة الأسهم العالمية، وطريقة تفكير الأثرياء وما يلفظونه من عبارات. ويوجه الكاتب النصيحة للمستثمرين الذين قد يظنهم فهم التوجهات الرأسمالية بضرورة تغيير توجهاتهم في التعامل مع المال، فالأموال كما يقول لا يكتسبها المرء وإنما يصنعها بالكد والعمل الشاق، ولذا فيامكان المرء أن يدعي أنه المالك الحقيقي لأمواله عندما

ينتقل إلى مسألة أخرى تحت عنوان «ما اكتشفته حديثاً بشأن تقنيات الاستثمار» فيقول إن القراء يفهمون كلمة «تقنيات» الاستثمار بشكل حريصاً بمعنى «ازدياد الأموال»، في حين أعتبرها أنا نوعاً من الكد الذكي لأجل المستقبل. لماذا نوع من الكد؟ لأن التعامل مع استثمار المال بمنطق الازدياد والربح قد يؤدي إلى خسارة المال أصلاً جراء الخوف من الفشل. ثم يختتم هذا الفصل تحت عنوان «معنى ادخار تسعين ألف دولار في كوريا الجنوبية». حيث يرى أن امتلاك المال عند حد معين وليكن «تسعين ألف دولار» يعني أن لحظة البداية أو الانطلاق للاستثمار قد حانت. صحيح أنت في عرضة لارتكاب أخطاء ولكن هذا لا يعني بالضرورة الفشل.

الفصل الثاني بعنوان «عندما تكتسب عادة فهم المال في سن العشرين فسوف تحتفظ بها إلى الأبد». ثم يفتتح هذا الفصل بمقولة معبرة لأكاديمي أمريكي بجامعة كاليفورنيا هو لورناس ج. بتر: «إن لم تكن تدري إلى أين أنت ذاهب، فسينتهي بك المطاف بمكان لم تكن تبغيه!». ثم يتناول الفصل عدداً من العناصر مثل: المستهلك الذكي في بلد استثماري، والذي يحسن التخطيط لما يملكه من مال يكتسب عادة إنفاقه على النحو السليم. فالتناس ليسوا أجهزة حواسيب ولهذا فهم يتذكرون جيداً مواقفهم ومتطلباتهم في إنفاق المال، وكلما أحسن المرء التعامل مع تلك المتطلبات كلما تمكن من إدارة أمواله بشكل طيب. ثم ينتقل إلى عرض متطلبات الإنفاق اللازمة وكيفية القيام بذلك الإنفاق، وقرار تحديد المبلغ اليومي الذي يتم إنفاقه، ونظام الفصل بين الحسابات البنكية. فالشخص الذي لا يستطيع تجنب إنفاق مبالغ مالية كبيرة بشكل مفاجئ عليه أن يتعلم كيف ينفق أمواله باحترافية. ويختتم هذا الفصل بالحديث عن أوجه الإنفاق الصحيح، وعند الرغبة في شراء سيارة، وأدكى الطرق لاستخدام بطاقات الائتمان، ثم ضرورة القلق بشدة أمام سهولة الحصول على قروض!

يأتي الفصل الثالث بعنوان «المستوى الأساسي لأول استثمار جاد في حياتك». ثم كالعادة يضع اقتباساً معبراً في مفتتح هذا الفصل لرئيسة الوزراء البريطانية السابقة «مارجريت تاتشر»: «تخيل أكثر الأيام التي تشعر فيها بالرضا عن نفسك. إنه ليس اليوم الذي تجلس فيه مسترخياً بلا عمل ولكنه اليوم الذي تكون لديك فيه الكثير من الأعمال التي تتمكن من إنجازها كلها». ثم يتناول بعد ذلك عدداً من العناصر



الخدمات الصحفية التي قامت بها المدارس والمنظمات الإسلامية في الهند للكاتب الهندي سهيل أنجم

ويلاوراتو عبدالكبير *

اللغة الأردية، إحدى اللغات التي تتحدث بها نسبة كبيرة في الهند وباكستان، هي لغة خليطة من عدد من اللغات العالمية توجد فيها كلمات عربية مثل «نظرية ومذهب ومسلك واقتصاد» كما توجد فيها كلمات أخرى فارسية وتركية مثل - فرمان وفرياد وبزم ودست وبهشت ودهشت وغيرها. والكلمة «أردو» ذاتها كلمة تركية معناها المعسكر، ويعود تاريخ نشأتها إلى معسكر المسلمين متعددي الجنسيات الذين كانوا يتحدثون بلغات مختلفة في الجيش العثماني التركي. وبما أنها كانت اللغة الرسمية في العهد المغولي في الهند فسرعان ما أصبحت لغة لعموم شمال الهند بالإضافة إلى كونها لغة المسلمين الهنود الثقافية ولغتهم الأم حتى تجاوز نفوذها إلى جنوب الهند خارج سيطرة الملوك المغول مثل «مملكة حيدر آباد الأصفية» و«ميسور» «السلطان تيبو». وربما تكون ولاية «كيرالا» هي الاستثناء الوحيد في هذا الشأن. وحتى في «مدراس» بولاية «تاميل نادو» توجد مناطق مثل «عمر آباد» تتحدث نسبة غير قليلة من المسلمين بلغة «أردو».

الأول يحتوي على بداية تاريخ الصحافة الأردنية ذات الاتجاه الديني وأسبابها وتطوراتها في مراحل مختلفة. وفي باب آخر يحاول استخراج النقوش الأولى الزاهية من الصحافة الأردنية التاريخية التي سادت ثم بادت. وهناك باب طويل حاول فيه الكاتب استعراض الصحائف الدينية بمنظور غير منحاز يشير فيه إلى محاسن تلك الإصدارات التي تنتمي لكل مسلك ومعاييرها ويمكن القول عنه إنه خلاصة هذا الكتاب. اقتبس فيه نماذج من المقالات المنشورة فيها وكلمات تحريرها حتى يتضح للقارئ جليا التيار الفكري الذي يحمل تلك الصحائف والرجحان الغالب فيها.

مثل الاستعمار البرتغالي بقيادة كولومبوس وفاسكو دا جاما، دخل الاستعمار البريطاني أيضا في الهند، في يده اليمنى شركة الهند التجارية الشرقية، وفي يده اليسرى الكتاب المقدس. الإرساليات التبشيرية كانت جزءا من الاستعمار البريطاني. وكانت الكنائس رائدة في تأسيس المطابع ونشر الجرائد. وهكذا بدأت المجلات والمنشورات تظهر إلى حيز الوجود أول مرة في الهند وفي طياتها نواة التبشير التي تستهدف جميع الملل في الهند من الهندوس والمسلمين والسيخ، ويعود تاريخها إلى سنة 1800م حيث تنقل كل من الدكتور «ويليام كيري» و«ويليام وارد» إلى «سيرام بور» مع مطابعمها كما يشير إليه الدكتور طاهر مسعود في كتابه «الصحافة الأردنية في القرن العشرين». كان هدفهما نشر الرسالة المسيحية وسط الشعوب الهندية. فقاما بنشر الإنجيل في خمس وعشرين لغة محلية في الهند يبلغ عددها مائتي ألف واثني عشر نسخة. البعثة التبشيرية في «سيرام بور» لها يد طولى في نشر الديانة النصرانية في الهند وخاصة باللغة البنجالية، ولا يهمل دورهم أيضا في مجال الصحافة. وفي هذا الوقت نفسه بدأ راهبان نصرانيان بنشر مجلة اسمها «خير خواه

الموضوع في كتابه الجديد «الخدمات الصحفية التي قامت بها المدارس الدينية والمنظمات الإسلامية». وهو أحد كبار الصحفيين باللغة الأردية في الهند. وخدماته في مجال الصحافة الأردنية تمتد إلى أكثر من ثلاثين سنة ارتبط خلالها بعدد من الجرائد. وله زهاء عشرين كتابا حاز بعضها على جوائز من مجامع أكاديمية وأندية ثقافية. وحاليا يشغل مراسلا لـ «إذاعة صوت أمريكا» (Voice of America) في الهند.

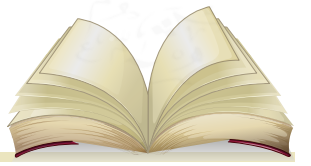
لتأليف كتابه هذا، قام الكاتب بمسح نطاق واسع للجرائد والمجلات الصادرة باللغة الأردية من قبل تلك المدارس والمنظمات في كافة أنحاء الهند شاملة جميع المذاهب والمسالك من أهل السنة والشيعة حتى الفرق المنحرفة مثل القاديانية. وقد حاول فيه أن يشير إلى محاسنها ومعاييرها دون أن ينحاز إلى أي طرف منها، كما حاول أن يلقي النظر إلى خلفيتها التاريخية. إنه عمل شاق لم يسبقه إليه أحد. ولما خاض في لبح البحث عن الموضوع تيقن أن أحدا لا في الهند ولا باكستان قد سبقه إليه. وعدم توافر مواد المصادر المعلوماتية كان العقبة الكبرى أمام مهمته؛ حيث لم يهتم أي مسلك بتشكيل أرشيف تحفظ فيه مجلاته القديمة منها والمعاصرة. فشرع عن ساعديه في عام 2009م وقام بجولة واسعة طول البلاد يجمع الجرائد والمجلات التي انقطع نشرها منذ زمان والتي لا تزال قيد النشر حتى الآن. صرف مبلغا كثيرا في شرائها. الجرائد والمجلات الناطقة بلسان الإخوة الشيعة كان يركز نشرها رئيسيا في «لكهنو» بينما إصدارات أهل السنة كانت تطبع في دلهي ومدن أخرى مختلفة في شمال الهند. ولتكميل مهمته استعان بزملائه في العمل. وهكذا أخذ سبع سنوات تقريبا لتحقيق أمنيته حتى صدر الكتاب في عام 2017.

الكتاب مبوب بستة أبواب وعدة فصول هامة. الباب

ومن ميزة هذه اللغة أنه تتوفر فيها غالبية أمهات الكتب الإسلامية من ترجمة معاني القرآن المجيد مع تفاسيره المختلفة والصحاح الستة وشروحها المتشعبة بالإضافة إلى كتب الأدب والتاريخ والعلوم المتعددة، سواء كانت مترجمة من اللغة العربية أو أصلية باللغة الأردية، مما يساعد كل الأجيال المسلمة على أن يتسلحوا بعلوم دينهم وأن يشربوا من مناهلهم الثقافية العريقة حتى ولو لم يكونوا ملمين باللغة العربية.

وإلى عهد قريب من استقلال البلاد كانت اللغة الأردية لغة نشيطة وغنية بجميع الفنون من النثر والشعر والقصة والرواية، وعلى الشاشة الفضية من الفن السابع كانت هي اللغة السائدة في شمال الهند. ونفوذها كان بارزا في أوساط الكتاب غير المسلمين أيضا مثل «بريم شانند» و«كيشان شانند» و«أننت نارايان ملا». أما شأن الجرائد والمجلات فحدث عنها ولا حرج؛ فمثلا حزب المؤتمر الذي كان في مقدمة حركة الاستقلال، وقد حكم البلاد فترة طويلة، كان له جريدة يومية أردية ناطقة بلسانه باسم «قومي آواز» (صوت الوطن). الصحافة الأردنية كانت في البداية مضمار الصحفيين المعاصرين مثل «كول ديب نايار» قبل أن يختاروا ميدان الصحافة الإنجليزية مجال عملهم في الفترة اللاحقة. محمد مسلم رئيس تحرير «دعوت» (الدعوة) الناطقة بلسان الحركة الإسلامية الهندية «الجماعة الإسلامية، وفارقليط رئيس تحرير جريدة «الجمعية» الناطقة بلسان جمعية العلماء الهندية، ومولانا أبو الكلام آزاد رئيس تحرير «البلاغ» و«الهلال» ومولانا محمد علي الجوهر رئيس تحرير «همدر» جميعهم كانوا من رواد الصحافة في اللغة الأردية.

كان للمدارس الدينية والمنظمات الإسلامية دور كبير في مجال الخدمات الصحفية الأردنية في الهند. يلقي الكاتب الصحفي سهيل أنجم الضوء على هذا



لما سأل هذا الكاتب «كولديب نيار» عميد الصحافة الهندية المعاصرة الذي بدأ حياته الصحفية في مجال الصحافة الأردنية عن حالتها الراهنة قال إنه ليس لها مستقبل في الهند. السبب الرئيسي لذلك يعود أولاً إلى العنصرية التي وضعتها الحكومات الهندية المتتالية أمام تطورها حيث أخرجتها من مقررات المنهج الدراسي وجعلت اللغة الهندية التي تكتب بحروف «ديفاناجري» بدلا من الحروف العربية التي تكتب بها اللغة الأردية لغة التوجيه مما أبعد الجيل الجديد المسلم عن ألفة لغتهم الأم، فأصبح الجيل الناشئ لا يقرأ اللغة الأردية واضطر كثير من الكتاب أمثال القاص الأردني الراحل ساجد راشد أن يتحولوا في إبداعاتهم من اللغة الأردية إلى اللغة الهندية الوطنية مصدقين قول الشاعر الأردني المرموق أكبر إله آبادي:

«لو كان يعرف المسكين فرعون قوة سلاح التعليم لما كان باغتيال الأطفال سيئ الاسم هكذا في التاريخ».. كان المفكر الإسلامي الأستاذ المودودي قد حذر مسلمي الهند من هذه الحالة المأساوية التي ستواجهها لغتهم بعد استقلال البلاد حين تتحول حركة الاستقلال التي قامت على رجلين من الحركة الوطنية والعصبة الهندوسية إلى رجل واحد من العصبة الهندوسية ونصحهم أن يحاولوا نشر الكتب الإسلامية والوسائل الإعلامية في اللغة الهندية الوطنية واللغات المحلية الأخرى. ولو أن بعض هذه الجرائد التي يعود عمرها إلى مرحلة ما قبل الاستقلال لا تزال تصدر حتى الآن غير أن مستواها شكلا ومضمونا خلف مئات من الأميال من صحف التيار الرئيسي. وجريدة «دعوت» (الدعوة) الناطقة بلسان الحركة الإسلامية خير مثال لذلك. كانت تعد من الجرائد اليومية على المستوى الأعلى ولها وزن لدى الجمهور والسلطات حين كان الأستاذ محمد مسلم رئيس تحريرها حتى السبعينيات من القرن الماضي، ولكن فقدت بريقها بعد وفاة المذكور. هل يستطيع أحد أن يتصور جريدة تصدر كل ثلاثة أيام وذلك أيضا بدون أي صورة فوتوغرافية في عصر السرعة التي تنافس الجرائد المطبوعة القنوات الفضائية؟ إن كان احترام الميت دفنه فقد طال وقت دفنها. أما أخواتها فلا تختلف أحوالها أيضا كثيرا عنها إلا في شكلها الظاهر فقط.. تلك هي حكاية الجرائد الأردنية المعاصرة.

اسم الكتاب: الخدمات الصحفية التي قامت بها المدارس والمنظمات الإسلامية في الهند

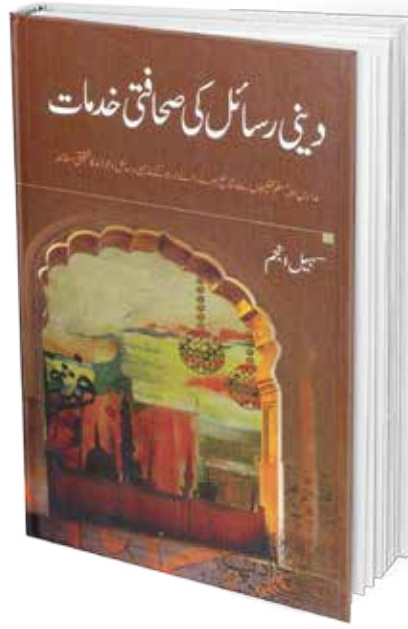
اسم الكاتب: سهيل أنجم

لغة الكتاب: أردو

عدد الصفحات: ٣٦٧

الناشر: Institute of Objective Studies, New Delhi

* باحث ومستعرب هندي



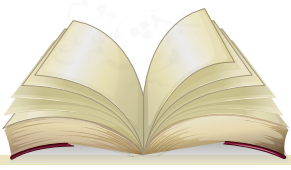
الجديدة بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أصبح البريلويون والقاديانيون أتباع ميرزا غلام القادياني المدعي النبوة حريفيين له. كان يواجه الرهبان من المسيحيين وقادة «الآريا سماجيين» من الهندوس والبريلويين الخرافيين من المسلمين، وميرزا غلام المدعي النبوة وأتباعه على جبهات عدة مشاركا في مناظرات تعقد في ميادين مفتوحة، وكاتباً في مجلته المذكورة أعلاه، ومصنفا كتباً يرد على مزاعمهم الزائفة. كان ثناء الله ذكياً وذا حس مرهف وحاضر الجواب. كان كابوساً للقاديانيين والآريا سماجيين. وثمة حكاية ظريفة تدل على ذكائه الحاد؛ إذ تحدى المسلمين «شرادها آندا» من «آريا سماج» بمناظرة، فتقدم ثناء الله لقبول التحدي ولكن «شرادها آندا» رفضه قائلاً إنه إنما تحدى المسلمين لا الكفار، لأن «البريلويين» قد أفتوا ذلك الوقت بكفره، فرد عليه ثناء الله بإعلان كلمة الشهادة وقال: إنني قد أصبحت مسلماً.

ومن الجرائد والمجلات المحفورة في وجدان الزمان خلال فترة الاستقلال «البلاغ» و«الهلال» لمولانا أبو الكلام آزاد و«همدر» لمولانا محمد علي من قادة حزب المؤتمر و«الجمعية» الناطقة بلسان «جمعية علماء الهند» و«دعوت» (الدعوة) الناطقة بلسان الجماعة الإسلامية، الحركة الإسلامية في الهند و«ترجمان القرآن» للأستاذ المودودي مؤسس الحركة الإسلامية في شبه القارة الهندية، و«المعارف» لسليمان الندوي المؤرخ الإسلامي الشهير، و«صدق جديد» (الصدق الجديد) للعلامة عبد الماجد الدرايبادي. بعضها لا يزال يصدر حتى الآن مثل «دعوت» (الدعوة) الصادرة في دلهي و«ترجمان القرآن» التي انتقلت إلى باكستان بعد تقسيم الهند يحررها حالياً بوفوسور خورشيد أحمد، وبعضها توقف بعد وفاة أصحابها مثل «البلاغ» و«الهلال» و«همدر».

أما الصحافة الأردنية الراهنة في الهند، فالحقيقة المرة أنها في حالة يرثى لها. قبل عقد من الزمان

هند (ناصر الهند خيرا) من «مرزا بور» و«بنارس». ولم تكن هذه الأعمال التبشيرية دون أثر بين المسلمين والهندوس حيث تقدم بعض الأسر من كلا القوميين لاعتناق الديانة النصرانية بتأثير المدارس الإنجليزية الحديثة. وفي عام ١٨٥٧ تحولت أسرة ماستر رام شندر الهندوسية، وأسرة المولوي كريم الدين المسلمة، إلى الديانة المسيحية. وأعلن الملك «كولديب سينغ» أيضاً اعتناقه الديانة المسيحية تاركاً ديانته القديمة. وكان لكريم الدين أخ يعرف بالأب عماد الدين وله ثلاثة كتب كتبها ضد العقائد الإسلامية. الرهبان النصراني رغم اتخاذهم وسائل الاسترضاء لم يترددوا أيضاً في استخدام وسائل الإكراه لتغيير ديانة الجمهور. هذا خلق طبعاً بلبلة بين الهندوس والمسلمين جميعاً. وكرد فعل لأعمال البعثات التبشيرية هذه ظهرت المجلات الأردنية بين أوساط مختلف أتباع الديانات في الهند. فبدأت مجلة «فوائد الناظرين» تصدر تحت تحرير «ماستر رام شندر» (Master Ram Chander) كما بدأت مجلة «كريم الأخبار» تحت تحرير المولوي كريم الدين. وتقدم المصلح الهندوسي «راجا رام موهان روي» في عام ١٨٢١ بمجلته «براهمونيكال ماجزين» (Brahmonical Magazine) يدحض مزاعمهم ضد الديانة الهندوسية. لكن لم يقدر لها عمر طويل. وفي عام ١٨٥٢ تقدم هندوسي آخر يدعى «جوفيند راجهو» (Govind Raghu) بمجلة «بناراس جازيت» (Banaras Gazette). أما المجلات الإسلامية فيعد أقدمها تاريخاً مجلة «مظهر الحق» التي قام بنشرها عام ١٨٤٣ المولوي محمد باقر من المسلمين الشيعة. وكان محركها الأساسي «الفتنة الكبرى» التي وقعت في بغداد آنذاك كما يدعي الإخوة الشيعة وكان هدفها ترويض عقائد الشيعة بين المسلمين. كانت مجلة أقل توزيعاً؛ لأن قاعدة قرائها كانت محدودة بين الشيعة فقط ولا يقرأها السنة، وقد ظلت تصدر حتى عام ١٨٥٢.

يقدم المصنف قائمة من المجلات والدوريات التي صدرت خلال فترة ما قبل استقلال الهند من جانب كل من الهندوس والمسلمين والسيخ مع أسماء مالكيها وسنة نشرها ثم يكشف عن ملامحها الرئيسية واحدة فواحدة. ولو أن القاسم المشترك لهذه المنشورات كان الرد على مزاعم البعثات التبشيرية، إلا أن المعركة كانت ساخنة بين هذه الملل المختلفة كما كانت بين الطوائف داخل كل ديانة. فمثلاً المحافظون الهندوس كانوا لا يتعاملون مع «بروهما سماج» التيار التجديدي فيهم بتسامح، وطائفة «آريا سماج» التي كانت في مقدمة الدفاع عن عقائدهم الهندوسية ضد هجوم المسيحيين كانت منخرطة في محاولات تغيير ديانة المسلمين مما أدى إلى أن يخوض في هذا المضمار مولانا أبو الوفاء ثناء الله امرتاساري السلفي المنهج وصاحب «مجلة أهل الحديث» التي امتد عمرها ٤٤ سنة حتى تقسيم الهند. وبما أنه كان يحارب البدع والخرافات في الأمة والفرقة الأحمدية التي تدعي شرعية النبوة



حالة ياوس، مسالك الفهم في مستقبل الفيلولوجيا لأوتمار إيتة

رضوان ضاوي *

روبيرت ياوس Hans Robert Jauß (١٩٢١-١٩٩٧) هو منظر ورائد في الدراسات واللغات الرومانية / الفرنسية في كونستانس، وصاحب «جمالية التلقي» (مدرسة كونستانس). دافع ياوس عن استعماله للبعد الهرمينوطيقي وقواعده الفلسفية في عملية الفهم، متأثراً بدرس الفلسفة على يد جادامير Gadamer، الذي أهتم استعمال الهرمينوطيقا الفلسفية في الأدب والشعر والموسيقا والفن التشكيلي.

يتم الإفراج عنه إلا في ٢ يناير ١٩٤٨. يقول المؤلف أوتمار إن الماضي لم يمض. إنه حتى لم يمض بعد. والكاتب ياوس لا يدع الماضي يمضي بسلام. فقد أثر ماضي ياوس السياسي والعسكري في ظل النازية، عميقاً في حياته، وشكل مواقفه الفكرية اللاحقة بخصوص الديكتاتورية والحرب. كان السياق الألماني واضحاً بالنسبة لياوس. فقد انضم ياوس إلى شبيبة هتلر، وسار مع التيار، وكان منبهاً بالنازية، مؤمناً حتى آخر أيام الحرب بالنصر النهائي للألمان. ويتساءل مؤلف الكتاب أوتمار بصوت مرتفع: فهل كان ياوس مصاباً بالعمى فلم ير أي ظلم يقع على المعارضين السياسيين أو على أعداء النظام النازي؟ ربما يجيب هانس روبرت ياوس: تركنا أنفسنا لإغواء النازية. خلال فترة ما بعد الحرب يقول ياوس إنه تعلم كيف يرفع صوته بالاحتجاج، وتعلم طرح الأسئلة. طيلة عقود احتفظ ياوس بهذا السر لنفسه. ويتساءل الكاتب أوتمار: هل هو اعتراف متأخر يخفف من مشاعر الذنب التي ظلت تعذبه طوال عقود؟ هل نقول إن ياوس كان ضحية البروباجندا النازية؟ شاباً مبهوراً بالقائد، مؤمناً حتى آخر لحظة بالنصر النهائي للألمان؟

قيم كثيرة كانت ربما خفية قبل أن تجد تعبيراً عنها في أعماله اللاحقة. وربما أهم هذه القيم هو الشعور بالذنب وبأنه كان شريكاً بشكل ما في جرائم النازية، لهذا انبثقت أعماله الفكرية بعد الحرب التي تمحورت كلها حول قضية الفهم والحوار والتفاهم والغيرية. فكر ياوس في تنظيم ملتقى فكري سموه شعر وهرمينوطيقا، تتم فيه القراءة والمناقشة والتعليق على الأعمال الفكرية.

ربما يدخل ياوس ضمن دائرة المفكرين الذين يمدحون الهزيمة: أي ينظرون إلى الهزيمة باعتبارها فرصة لتصحيح المسار وتقويم الأمور، ربما لهذا أظهر ياوس التعاطف مع حركة الاحتجاج الجامعية التي وصلت إلى برلين حين قمع الأمن مظاهرات ضد زيارة شاه فارس. كما أن ياوس اهتم كثيراً بالأعمال الاغترابية للكتاب النمساويين اليهود وعلى إرث المفكرين اليهود. لقد قرأ الباحث النصوص المشككة للمنجز

خلال اقتناعه على ما يبدو بأهمية مفهوم الفهم. فما يبنيه لنا تاريخ الفهم هو أن المهم في الفهم، ما يعنيه الشيء، وأيضاً كيف يعنيه، أي ما تدل عليه العبارة «الإفهام بدقة»، و«التفاهم» (sich verstehen)، أي الفهم عبر الآخر (sich selbst im anderen zu verstehen).

وبالنسبة للمؤلف «أوتمار»، فإن نتائج تاريخ المفهوم (Begriffsgeschichte) عند ياوس سمحت له بوصف مختلف وظائف الفهم في ضوء فن التأويل، وهي مهمة يضطلع بها فقط مفهوم الفهم وفلسفة العلوم الإنسانية الحديثة، لأنها من طبيعة حوارية، ولأنه يبحث عن التفاهم عبر الآخر، ويسعى إلى فهم الآخر في أفق عالمه الخاص.

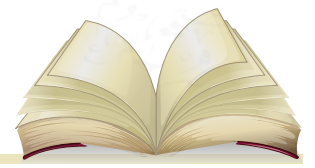
يذكر المؤلف أن ياوس قد اعترف بانتمائه في سن العشرين إلى فرقة الحماية الخاصة بهتلر المسماة سلاح الـ إس إس التي صُنفت بعد الحرب كمنظمة إجرامية. فهي إحدى أكثر الفرق دموية ووحشية، ويرمز الحرفان SS إلى قوات الحراسة، هذه الفرقة كانت في البداية مختصة بحماية هتلر. من هذه الفرقة تضرع سلاح الـ إس إس الذي كان تابعاً لقيادة الجيش. ارتكب سلاح الـ إس إس قائمة طويلة من جرائم الحرب والمذابح التي أبادت قرى بأكملها، ولذلك اعتبر قضاة محاكمات نورنبرغ سلاح الـ إس إس منظمة إجرامية. وصف ياوس نفسه بـ «أسير حرب» (Kriegsgefangener) في مقابلة مع صحيفة لوموند في ١٩٩٦، وتحدث عن العار الذي موضعه ضمن رد فعل جماعي. وقد تجاوز ياوس هذا العار علناً بكتابته عن الضمير الحي «أنا أكتب هذا».

فهم من هذا الكلام أن ياوس لم يكن يتحدث عن الماضي المشؤوم أبداً في نقاشاته العامة. وكانت السلطات الأمريكية قد حصلت من دليل الهاتف من مقر الـ إس إس على إسم هانس روبرت ياوس بعد أن طلب ياوس التأشيرة، بعدها. وأقر ياوس أن هذا الاكتشاف هو ثمرة لسوء الحظ. ففي ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٥، ألقت بريطانيا القبض على هانس روبرت ياوس، بعد شهر على تسجيله في الجامعة في ١٣ نوفمبر ١٩٤٥، وقبل أيام قليلة على احتفاله بعيد ميلاده الرابع والعشرين، ولم

يسعف الانطلاق من هذه المعطيات في القول إن الخطاب الهرمينوطيقي في كتاب الباحث (أوتمار إيتة) Ottmar Ette، -أستاذ الدراسات الرومانية بجامعة بوتسدام- الموسوم بـ «حالة ياوس، مسالك الفهم في مستقبل الفيلولوجيا»، يؤسس لعدة قضايا أهمها علاقة هانس روبرت ياوس بالنظام النازي ضمن شبيبة هتلر. واستشهد المؤلف بما كتبه هانس أولريش جومبريشت H. U. Gumbrecht في مقال مطول سنة ٢٠١١ عنونه بالتالي: «أستاذي، رجل سلاح الـ إس إس، نجاح هانس روبرت ياوس الأكاديمي يظهر كيف يصبح رجل ذو تاريخ ماض مع النازية ذا قامة في الجمهورية الاتحادية»، حيث أوضح كيف أن ماضي أستاذه السابق ياوس مع سلاح الـ إس إس كان يثقل كاهله.

تستجيب الهندسة البنائية للكتاب الذي بين أيدينا للمنطلقات التشبيدية التي يستهدفها الباحث في خطابه. لهذا خصص المؤلف دراسته في ثمانية فصول مترابطة ومتناسكة، لموضوع «الفهم والتأويل»، من خلال حديث الكاتب عن هرمينوطيقا الفهم والصمت والإزاحة وهرمينوطيقا الفهم، والنسيان والتسامح. وقد قدم «أوتمار إيتة» في كتابه الذي بين أيدينا ما يندرج ضمن مشروع ثقافي توثيقي يمكن تلخيصه في نقطتين: هاجس الاعتناق من هيمنة الماضي المشؤوم وسلطته على المفكرين التي تم تغييرها في الكتابات السابقة عند هانس روبرت ياوس، والسعي لتأكيد الشعور بالذنب عند هذا الكاتب، وثبات علو كعب هانس روبرت ياوس في مجال فلسفة العلوم الإنسانية وفلسفة الفهم.

خصص الباحث جزءاً كبيراً من دراسته في المنجز الهرمينوطيقي لهانس روبرت ياوس «مسالك الفهم» الذي صدر سنة ١٩٩٤، وفيه يدافع ياوس عن الهرمينوطيقا، وعن مفهوم «الفهم» (Verstehen). ويقول المؤلف «أوتمار» إن مفهوم الفهم وإشكالية الفهم، باعتبارها من المفاهيم المفتاحية في كتاب ياوس، تدخل في صلب الإنتاج الفكري الفلسفي لمنظر جمالية التلقي. تشكلت القراءة الثقافية للفهم عند المؤلف أوتمار من



لها أجوبة علمية حتمية. فالأجوبة تكون علمية ما دامت تثبت في وجه النقد المنطقي.

كان الباعث السياسي الاجتماعي للأزمة الألمانية هو ثورة الأبناء ضد الآباء بماضيتهم القومي لمستقبل هتلر. ولأن هذه لم تستطع منع الحقيقة الإنسانية «للرايخ الثالث»، حتى أنها لم تقف ضدها بشكل علني قط، فإنه يظهر من الصعب فهم سبب إمكانية إعادة تجديد العلوم الإنسانية ضمناً ودون وعي، وبعد 1945 عند إعادة توظيف الدراسات في مجالها. وقد تردد في هذه السنوات، أن أزمة العلوم الإنسانية الألمانية كانت في الوقت ذاته صدى أزمة عالمية للعلوم الإنسانية. ودعت العلوم الإنسانية إلى حداثتها، وكلفت بمهمة ربط الجسور بين النظرية والممارسة، والحرية الأكاديمية، والمسؤولية المدنية. باختصار، دعيت إلى تجديد وظيفتها التواصلية، والماهوية، والوظيفية المبنية على توافق الآراء: «يمكن للذنون أن تخلق جماعات، وتجعلهم يستطيعون تعريف أنفسهم كجماعات أو ثقافات. وعلى العلوم الإنسانية (الإنسانيات) أن تقوم بتواصل أكثر بين الأشخاص وبالمشاركة بينهم أكثر.» يرصد كتاب أوتمار استراتيجيات يابوس المتمثلة في الخطاب الدفاعي *Verteidigungsrede*، وهي استراتيجية مهمة شرح بواسطتها يابوس للجمهور السياق الألماني لماضيه المشؤوم وقدم له قرائن بذلك. وقد استعمل يابوس هذه الاستراتيجية في مقابلته مع صحيفة لوموند الفرنسية في 1996، أي سنة واحدة بعد ظهور كتابه مسالك الفهم. وقد جاءت المقابلة في وقتها. فحل محل مقابلة متخصص ألماني في الدراسات الرومانية في الإعلام الفرنكفوني تعد مهمة جداً، فقد بات الجمهور العريض يعرف بماضي يابوس الذي لا يمضي.

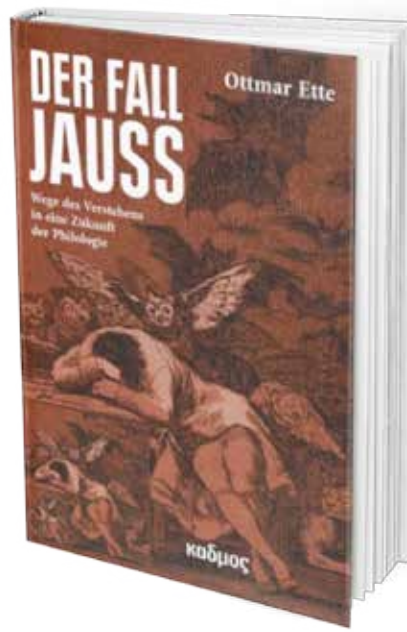
إن دراسة أوتمار «حالة يابوس، مسالك الفهم في مستقبل الفيلولوجيا» إسهام في النقاش الأكاديمي حول ماضي هانس روبرت يابوس السياسي وخطاب الدفاع الذي انتهجه في كتابه «مسالك الفهم»، وهو ينشد الموضوعية في قراءة منجز يابوس ما أمكن، مع محاولة توسيع الجهاز المفهومي لفلسفة العلوم الإنسانية ومفهوم الفهم. وفي الحقيقة يوجد كتابان آخران ليابوس لا نعرف لماذا لم يذكرهما الكاتب في دراسته، وهما بعنوان «مشاكل الفهم»، وصدر سنة 1999، وكتاب «العلوم الإنسانية اليوم»، وقد ذكرنا هذين الكتابين لأنهما يكملان مشروع هانس روبرت يابوس في فلسفة العلوم الإنسانية وفلسفة الفهم، ويستحقان إلى جانب كتاب مسالك الفهم وكتاب أوتمار ترجمة إلى اللغة العربية.

الكتاب: حالة يابوس، مسالك الفهم في مستقبل الفيلولوجيا.

الكاتب: أوتمار إيتيه.

دار النشر وسنة النشر: 2016، دار كادموس الثقافية، برلين، ألمانيا. (155 صفحة)
لغة الكتاب: اللغة الألمانية.

* باحث في الدراسات الجرمانية - المغرب



وقد عمل يابوس جاهداً على تجديد فلسفة العلوم الإنسانية والتزم بروح معرفة حوارية، متداخلة الاختصاصات ومتجاوزة لحدود الفروع. وطرح يابوس في أعماله الأخيرة أسئلة مركزية ومحورية عن مجال الجمالية التاريخية والأخلاق.

تبحث فلسفة العلوم الإنسانية في الفهم الذاتي للإنسان ماضياً وحاضراً، بما في ذلك تظاهرات هذا الفهم في الاقتصاد والسياسة والقانون، كما في العلوم الثقافية. إنها تمكننا من إيجاد جواب عن السؤال الهام، وهو كيف نفهم أنفسنا بشكل أفضل؟ فالعلوم الإنسانية تبحث في العالم الإنساني وتقول لنا من نحن؟ وماذا يمكننا أن نكون؟ وهي بإمكانها أن تضمن تكويناً علمياً جيداً في مجال تكوين المعلمين والأساتذة من خلال تقوية الذاكرة الجمعية والتحذير من بروز العنف والاستعباد الاجتماعي وتكوين القدرة على التجديد لدى الطلاب والأساتذة، اعتماداً على إصلاح الفيلسوف الألماني هامبولت الجامعي، الذي طالب فيه باستقلالية البحث العلمي ودمجه مع الدرس العادي، فقد أدركت الفلسفة بجامعة هامبولت الوظيفة التكاملية للعلم من أجل إثارة الفكر التركيبي لدى الطلبة. إن مشروع يابوس هو «وسيلة فنية عامة للفهم كله». وقد طالب الفيلسوف الألماني هامبولت باستقلالية البحث العلمي ودمجه مع الدرس العادي واقترح إلقاء الدرس في شكل حوار، وتحرير الامتحان من عزلة الاستجابات البحثية. وقامت فكرته على الوحدة والترابط والتكامل بين البحث العلمي والتعليم. «من لم يفهم سوى الكيمياء فقط، سوف لا يفهمها بشكل صحيح أيضاً.»

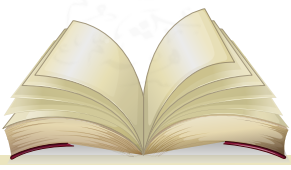
وسعت فلسفة العلوم الإنسانية دائماً، ومنذ العصر الإغريقي، حدود المعرفة، ما دامت تعلي من قيمة السؤال المفتوح على حساب الجواب الحتمي. فهي في معناها التقليدي تطرح أسئلة يومية عن الخير والشر، عن الدور الذي قام به الإنسان، إذا ما أراد أن يعيش حياة جيدة، عن الطبيعة، عن الدولة وعن الجميل. وفلسفة العلوم الإنسانية تهتم مسبقاً بالأسئلة التي لا توجد

الهرمينوطيقي العلمي عند يابوس وأهمها كتابه مسالك الفهم في ضوء رؤية بديلة، فتجلت من خلال طرحه لأسئلة كثيرة ومؤلمة، مثلما فعل هانس روبرت يابوس نفسه في أعماله التي نشرها بعد الحرب. ومن بين الأسئلة المهمة التي نجدها في هذا دراسة الباحث أوتمار: لماذا اختار ضابط الإس إس السابق الدراسات الرومانية؟ ولماذا اختار مدينة بون؟ لقد تعلق يابوس منذ صغره باللغة والثقافة الفرنسيين، كما أنه، وعلى عكس الدراسات الجرمانية، لم تكن الدراسات الرومانية بعيد الحرب، موضع مراقبة إيديولوجية. إن تخصص اللغات الرومانية منح يابوس «كرسياً مختلفاً في الحياة»، إنه مكان للهروب وللتراجع. فقد بحث يابوس قبل وبعد الحرب عن صفحة جديدة في حياته، وأراد تغيير الماضي الذي لا يمضي. فقد كافح يابوس ضد أعداء السلام العالمي *Feinde des Weltfriedens* وضد البولشوفية، وأصبح مناضلاً من أجل السلام العالمي بعد زوال الرايخ.

في بداية فترة ما بعد الحرب برز يابوس انضمامه لسلاح *SS* برغبته آنذاك في تحقيق هدف حياته وهو أن يصبح بروفيسورا لتاريخ الثقافة. كما أنه تحدث عن الواجب البديهي عند كل ألماني في الدفاع عن الثقافة الذاتية والثقافة الأوروبية ضد تهديدات البولشوفية. وكما أسس الباحث في هرمينوطيقا يابوس قراءته لكتاب «مسالك الفهم» على مقولة سياسية، فإنه توسل أيضاً في قراءته للمقولة الهرمينوطيقية التأويلية، وللمقولة الفلسفية: أي أنه اشتغل على مقولتين هما: ماضي يابوس ومفهوم الفهم وضمناها فلسفة العلوم الإنسانية. اتكاء على المعطيات السابقة، يمكن القول إن المفاهيم المؤسسة للدراسة ترتبط بأهم مرجعية أساسها محاضرات يابوس باعتبارها من أهم النجاحات في تاريخ فلسفة العلوم الإنسانية الألمانية التي شهدت أزمة عميقة في القرن التاسع عشر، والتي وجدت حياة جديدة بهذه الدراسات التي قام بها يابوس وزملاؤه في الجامعة، استوحاها يابوس من شخصيات بارزة من الدراسات الرومانية مثل المتخصص في الدراسات الرومانية *Robert Ernst Curtius* ببحثه القيم بعنوان الوظيفة التربوية الاجتماعية للأدب.

ويعتقد المؤلف أن هذه الحاجة جعلت من نص يابوس بياناً أصلياً لجمالية التلقي، وحتى اليوم أصبحت جمالية التلقي واحدة من المواضيع الإيجابية في كل دورة تمهيدية لعلم الأدب وللفلسفة الإنسانية، حيث يستعمل منطق السؤال الحتمي والجواب المفتوح، انطلاقاً من فلسفة جادامير. ويضيف الكاتب بأن العمل الفني والفلسفي يجب أن يحفز الطلاب على العثور على الأسئلة بأنفسهم من أجل إدراك ثورات العالم وحل المشاكل الشخصية.

يقول المؤلف أوتمار إن يابوس يعد من الكفاءات الألمانية التي استفاد منها الدرس الفلسفي والنقدي، من خلال أعماله التي تصب في مجال إصلاح العلوم الإنسانية، فهو يعتبر يابوس من أوائل المدافعين عن فن التأويل الذي يتجاوز دوغمائية النص الكنسي ويفتح على مسالك واستراتيجيات مختلفة للفهم.



حدود السوق: البندول بين الحكومة والسوق بول دي غراو

محمد السالمي *

تناول الفلاسفة الاقتصاديون ابتداءً من سميث إلى ماركس وكينز النظام الاقتصادي الذي يجب أن تسلكه الدولة، والنطاق الأمثل في تدخلها في السوق. بيد أن هذا النقاش «السوق أو الدولة» قد عفا عليه الزمن. حيث من المعلوم سيكون هناك دائماً مزيج من حرية السوق وتدخل الحكومة. والمسألة الوحيدة ذات الصلة هي ما ينبغي أن يبدو عليه هذا المزيج. وإلى أي مدى علينا أن ندع السوق يذهب بطريقته الخاصة من أجل خلق أكبر قدر ممكن من الرفاهية للجميع؟ وما هي مسؤولية الحكومة في خلق الرفاهية؟ فهذه أسئلة صعبة، لكنها أيضاً أسئلة مثيرة للاهتمام وبول دي غراو يحلها في هذا الكتاب.

التعاون الاجتماعي. وحتى عندما ينتج السوق ازدهاراً مادياً، فإنه يمكن أن يقوض التوافق الاجتماعي ذاته لصالح النظام.

عندما يصل السوق لحدوده، يتطلب النظام قوة خارجية لإنقاذه من سقوطه. هذا هو الوقت الذي تأتي فيه الحكومة لعكس العواقب المدمرة للتجاوزات الناجمة عن السوق. غير أن الحكومة تواجه أيضاً حدودها الخارجية والداخلية التي تعكس صور حدود السوق. وتتعلق الحدود الخارجية بقدرة الحكومة على حل مشكلة العوامل الخارجية. وكثيراً ما يطلب من الحكومة التدخل بشكل دقيق عندما تكون أقل قدرة على القيام بذلك - عندما تكون الفجوة بين المصالح الفردية والجماعية في أوسع نطاق. وعادة ما يقابل ذلك معوقات إعلامية مهمة من جانب الحكومة، ومقاومة قوية من المصلحة المكتسبة. يتم الوصول إلى الحد الداخلي للحكومة عندما يذهب بعيداً جداً في خدمة المصلحة الجماعية للمجتمع على حساب الكفاءة الاقتصادية. وبالتالي فإن الوضع المثالي، وفقاً لـ دي غراو، هو أنه يجب أن يكون هناك مزج صحيح من تدخل الحكومة وفتح الأسواق.

وقد أشار آدم سميث في عام 1776، في ثروة الأمم، إلى أن للحكومة دوراً هاماً في اقتصاد السوق. وعلى عكس التصور، ادعى سميث أن للدولة دوراً ضرورياً في إنفاذ العقود وحماية الممتلكات والأشغال العامة والتعليم. وقال إن العواقب الجماعية للمصلحة الذاتية، أو «اليد الخفية»، تمكن اقتصاد السوق من تلبية الاحتياجات الأخرى. كما حث جون ماينارد

فضلاً عن التنظيم الإنتاجي». لقد كان العقد الأخير وقتاً مثيراً للاقتصاديين؛ حيث شهد أسوأ أزمة مالية عالمية منذ الكساد الكبير، مما أدى إلى البحث أكثر تعمقاً في النظريات الاقتصادية وإلى مدى انعكاسها على الواقع. ومن ثم فالمصرف المركزي، والعملية الأوروبية الموحدة هما من أكثر التجارب التكنولوجية نجاحاً منذ عقود مضت - يتم اختبار حدودهما! وفي العام الماضي، بدأت أخيراً أسس المؤسسة السياسية القائمة في الغرب في التصدع، مما يندرج بالتراجع المحتمل عن النظام الاقتصادي العالمي الليبرالي. وفي إطار ذلك، فإن مسألة دور الدولة في الاقتصاد، مقابل دور السوق، أمر أساسي.

فالسوق أداة فعالة للغاية لتحقيق الازدهار الاقتصادي، ولكنها ليست مستدامة إذا ترك لأجهزتها الخاصة. والسبب في ذلك هو أن السوق يخضع لمجموعتين من الحدود - الخارجية والداخلية. وتتعلق الحدود الخارجية بكيفية اتساق السوق مع المصالح الذاتية للأفراد والتي قد لا تتفق مع المصلحة الجماعية للمجتمع. وتؤدي العوامل الخارجية، كما يحددها الاقتصاديون، إلى الإفراط في الإنتاج أو نقص في توفير السلع والخدمات التي يمكن أن تتوقف بمرور الوقت مع تقدم السوق. ومن الأمثلة على هذه الحدود الخارجية، التدهور البيئي والأزمات المالية ونقص توفير المنافع العامة. إن الحدود الداخلية للسوق، حسب دي غراو، تنبع من حقيقة أن السوق لا يضمن التوزيع الاقتصادي العادل، ويناشد الدوافع الذاتية للناس، ويعزز

يقدم كتاب بول دي غراو الجديد «حدود السوق: البندول بين الحكومة والسوق» نظرة دقيقة في هذا الشأن. فالبلجيكي دي غراو هو اقتصادي رائد في أوروبا ويعمل حالياً في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، وهو أحد المحللين البارزين في النقابات العمالية والنقدية. فهذا الكتاب قليل نسبياً من حيث عدد الصفحات، لكنه مكتوب بطريقة واضحة ويمكن الوصول إليه لعامة الجمهور.

يتكون الكتاب من ثلاثة عشر فصلاً. يأتي الفصل الأول من الكتاب بعنوان البندول الاقتصادي الكبير. وفي الفصول الثلاث التي تليه، يتحدث الكاتب عن حدود الرأسمالية، وعن الحدود الداخلية والخارجية لها. وفي الفصل الخامس، يأتي بعنوان اليوتوبيا في التنظيم الذاتي لنظام السوق. ومن ثم في الفصل السادس، يطرح الكاتب سؤالاً: من يستطيع حفظ نظام السوق من التدمير؟ وفي الفصلين السابع والثامن، يتحدث عن الحدود الداخلية والخارجية للحكومات. والفصول المتبقية من الكتاب، تناقش قضية المزج بين السوق والحكومة بإسهاب. كما يناقش موضع منطقة اليورو من هذا المزج. وقد تطرق الكاتب بعنوان منفصل حول اللامساواة من منظور بيكيتي.

يقول كارل بولاني في كتابه التحول الكبير: «إن التاريخ الاجتماعي في عصرنا هو نتيجة لحركة مزدوجة: الأول هو مبدأ الليبرالية الاقتصادية، الذي يهدف إلى إنشاء سوق ذاتي التنظيم؛ والآخر هو مبدأ الحماية الاجتماعية الذي يهدف إلى الحفاظ على الإنسان والطبيعة



يسلط الضوء على قدرة السوق الاستثنائية لتحقيق الازدهار في مجالات عدة، ومن بينها البيئة. ولكن الكاتب يوضح أن السوق لن يحل المشاكل البيئية، لأنه ليس في مصلحة النظرة الفردية القيام بذلك. وهناك حد آخر، ألا وهو السلع العامة: فالأشخاص لديهم حافز محدود لتوفير سلعة جيدة (أو تجنب سيئة) يرفض المستفيدون الآخرون دفعها، ويعنى بذلك الحافز المادي لتقليل الانبعاثات أو استعمال الطاقة النظيفة. وثمة حالة أخرى تتمثل في عدم الاستقرار المالي. وقد كانت هذه الديناميكية من الازدهار والكساد منذ فترة طويلة سمة من سمات الأسواق المالية الحرة.

في نهاية الكتاب، يعرض دي غراو حمله في الكيفية حول المستقبل الذي سيتم فيه الوصول إلى حدود السوق، والذي يقود للتدهور البيئي وعدم المساواة الاقتصادية إذا ظل على المسار الحالي. ويصور الكاتب بإحساس صورة ألبرت كامو، الذي يكافح من أجل منعها من الوصول لهذا الحد، وقد يكون غير مجد، وقد يكون بالفعل متأخراً جداً، ولكن بالنسبة لمستقبل أحمادنا لا يمكننا التوقف عن المحاولة. كما يقدم الكاتب مجموعة من الإصلاحات بما في ذلك حملة للحد من عدم المساواة، والانتقال إلى شكل أكثر استدامة بيئياً للرأسمالية، وإعادة تنشيط الديمقراطية، والعمل الجاد لتعزيز التعاون الدولي. كما يرى الكاتب أننا بحاجة إلى مواصلة العمل لإصلاح الرأسمالية، لنقل البندول نحو توازن عملي بين الحكومة والسوق.

حدود السوق هو كتاب صغير مكتوب بشكل جيد وسهل القراءة وغني بالمعلومات. فهذا الكتاب مميز للذين يرغبون في الحصول على مقدمة لموضوع دور الدولة والسوق من منظور اقتصادي. وقد لاقى الكتاب صدى واسعاً في المحيط الاقتصادي، بينما رأى بعض النقاد أن الكتاب مشروع لم يكتمل بعد. وقد صنفت مجلة الفايينشل تايمز هذا الكتاب من أفضل الكتب الاقتصادية لهذا العام.

اسم الكتاب: حدود السوق: البندول بين الحكومة والسوق

اسم المؤلف: بول دي غراو Paul De Grauwe

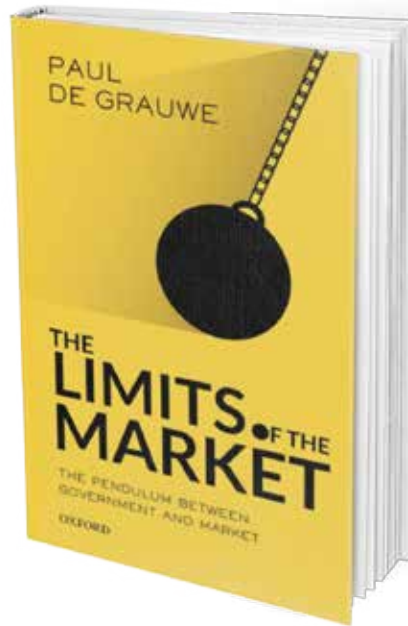
عدد الصفحات: ١٩٢ صفحة

اللغة: الإنجليزية

الناشر: Oxford University Press

سنة النشر: مارس، ٢٠١٧

* كاتب عماني



المفترض يمكن أن يقوض الدعم العام للحكومة. في المقابل، يعتمد استقرار اقتصاد السوق على المؤسسات غير الربحية.

فالمؤسسات والهيئات الديمقراطية تخلق الاستقرار الذي يسمح للرأسمالية بالازدهار. ولا يمكن ترك الأجهزة العامة وإنفاذ القانون لأجهزة «اليد الخفية». كما أن الحكومات والوكالات العامة ذات أهمية حيوية. كما يبسط دي غراو مصادر الدعم لأي من الحكومة أو نظام السوق. ويقول إن السوق تستمد الدعم من منطقتنا، بينما الحكومات هي «الآلية التي يتم التعبير بها عن مشاعرنا». وهناك قيود واضحة على دور العقلانية في تفسير ديناميات اقتصاد السوق.

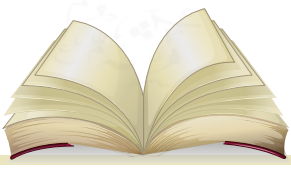
كما تطرق دي غراو لأزمة اليورو في كتابه، ويرى أن العملة بدون حكومة غير قابلة للعمل. وقال إن الخوف من عدم السيولة في أسواق الدين العام قد يدفع بعض الحكومات للتخلف عن السداد. ويمكن أن يوفر تدخل المصارف المركزية الجواب لكل دولة على حدة، ولكن أعضاء منطقة اليورو ليس لديهم مثل هذا البنك المركزي. ونظراً لاعتماد أغلب دول الاتحاد الأوروبي على العملة الموحدة (اليورو)، فإن ذلك يقيد الحكومات الأوروبية على استخدام السياسة المالية لتعديل مسار الاقتصاد في حالات الركود، والنتيجة تكون مكلفة عادة. ويرجع ذلك، إلى عدم وجود بنك مركزي في دول اليورو يعني باستخدام السياسة المالية بشكل مستقل، وإنما يوجد بنك مركز أوروبي موحد. ومن هنا تبرز الحاجة لمزيج من التدخل الحكومي وفتح الأسواق.

أما بالنسبة للتغير المناخي، فإن الكاتب

كينز على دور أكثر تدخلا للحكومة، وأعرب عن اعتقاده بأن الكساد الكبير في الثلاثينيات أظهر أن سياسة الحكومة تعد حيوية لتعويض الطلب غير الكافي الناجم عن اقتصاد السوق. ولعله لا يزال من الضروري أن يقال، إن حكومات جميع الدول توازن بين ممارسة الحكومة واستخدام الأسواق كآليات للتخصيص. وفي الواقع، قد تؤكد أيضاً أننا نقدر أن الأسواق تشكل بموجب القانون، وبالتالي لا يوجد سوق يتمتع بالحرية بشكل مطلق: فجميع الأسواق مقيدة بقوانين الملكية والعقود واللوائح الاجتماعية الأوسع نطاقاً. وهكذا، السياسة هي كل شيء عن إدارة التوازن بين السوق والحكومة، مع التسليم بأن جميع النقاط العقدية ممكنة بالمزج بين الإثنين.

يبدأ بول دي غراو في مناقشة البندول الاقتصادي أو الحدود المتغيرة بين السوق والدولة. حيث يرى أن انتصار دولة السوق كان مرثياً في كل مكان عبر القرن التاسع عشر. وقد تراجعت هذه المواقف بسبب الحروب العالمية والازدهار للاقتصادات المخططة مركزياً. ثم تحولت موازين القوى بعد أن عززت العولة قوة اقتصادات السوق. ويوضح المؤلف هذا التذبذب من خلال التشكيك في حدود كل من السوق والحكومة والتي تتمثل إما في حدود داخلية أو خارجية. كما تطرق الكاتب لدور السلع الجماعية أو العامة كونها أساسية في تحليل التحديات التي تواجه اقتصاد السوق. وهذه السلع الجماعية أو العامة أساسية لنجاح كل من المجتمع والنظام الاقتصادي. ومن الأمثلة على ذلك نظام التعليم الجيد والنظام الصحي. حيث إن وجود الصالح العام يعود بالنفع على الجميع، إلا أن خلقهم صعب في كثير من الأحيان، حيث وجودهم يعتمد على مساهمة الجميع. ودور الحكومة واضح وهو توفير هذه السلع والتي بدورها تعزز المصلحة الجماعية.

كما تطرق الكاتب لمفهوم العقلانية الجماعية والذي يحلل من خلاله دور الحكومة. ويرى دي غراو أن دور الحكومة يتمثل في ثلاث مسؤوليات محورية ألا وهي: توفير السلع العامة، وإعادة التوزيع، والتعامل مع النتائج المترتبة على جميع الخيارات الفردية أو العوامل الخارجية. وتعود حدود الحكومة مرة أخرى إلى الاختلاف بين العقلانية الفردية والجماعية. ويحدد دي غراو قيوداً حاسمة. ويمكن أن تقوض الجهود التي تبذلها الحكومة لإعادة توزيع الثروة والدخل على قدرة اقتصاد السوق في تحقيق الازدهار. ومثلما يحدد المؤلف حدود الدعم لنظام السوق، يرى أن التدخل



التقدم العسكري وخصوصية تجلياته في تقاليد الغرب لسيرغي ماكسيموف

أحمد الربحي *

في الكتاب المقترح يحلل الباحث الروسي من مدينة كراسنويارسك السيبيرية سيرغي ماكسيموف واحدة من أهم قضايا عصرنا الحديث؛ وهي فهم جوهر التقدم العسكري، هذا التقدم الذي يشمل مجموعة من المسائل الشائكة:

(١) خصائص التطور العلمي والتكنولوجي وعلاقته بتطور المجتمع ككل.

(٢) الحرب والقوى ذات المصلحة فيها. (٣) السلام وآمال التعايش السلمي.. الخ.

يقول مؤلف الكتاب إن العالم الحديث الموسوم بالعوثة يتميز بتعدد الأزمات السياسية والاجتماعية والثقافية، ما يؤثر على فهم طبيعة وآفاق التقدم البشري، بما في ذلك المجال العسكري. ويؤكد المؤلف أن المعرفة الفلسفية والاجتماعية المعاصرة غير قادرة على الاستجابة لتحديات العالم الحديث المعولم، بينما المعرفة الجديدة لم تتبلور بعد، وفي هذه الظروف يلوح التقدم العسكري بصفته تهديدا للبشرية، كما ينبغي عليه في الوقت نفسه أن يكون عامل استقرار اجتماعي يوحد الأجيال والأمم والفئات الاجتماعية.

عن الحروب، كيف لنا أن نستبشر خيرا بمسألة تقدم الإنسانية والنماء الذي تصبو إليه البشرية؟ يقول ماكسيموف: « من أهم الخصائص التي تميز التقدم العسكري هي الحروب العالمية التي خاضتها البشرية. وللأسف فهي حروب صاحبت الإنسان منذ فجر تاريخه. فمنذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد وحتى وقتنا الراهن عاش الإنسان ٢٩٢ سنة فقط من غير حرب. وطيلة زمانه هذا عاصر الإنسان ما مجمله ١٤٥٣٠ حربا. كانت مختلفة في نطاقها ومدتها، ويبقى القرن العشرون هو الأشد وطأة من حيث حجم الحروب التي ارتفع معدلها أضعاف ما كانت عليه في السابق، فاستولت على قارات بأكملها، وعمت العشرات من البلدان، وحصدت ملايين الضحايا من البشر. لقد شاركت ثمانين وثلاثون دولة في الحرب العالمية الأولى. وخلال الحرب العالمية الثانية حاربت إحدى وستون دولة أي ما معدله ٨٠ بالمائة من مجموع سكان الأرض. وينتسب الاختراع الخبيث للحروب العالمية والاضطرابات البشرية الشاملة إلى القرن العشرين. وفي القرن العشرين أيضا ارتفع عدد ضحايا الحروب إلى أرقام قياسية حيث بلغ قتلى الحربين العالميتين الأولى والثانية ستين مليون نسمة. ومن الجدير هنا ملاحظة أن عدد ضحايا الحروب من المدنيين في تزايد مضطرد ونسبة الإصابات في صفوفهم في تفاقم مستمر. فبينما كان عدد القتلى من الجنود في الحرب العالمية الأولى عشرين ضعفاً القتلى من المدنيين، نجده في الحرب العالمية الثانية يتساوى مع عدد القتلى من المدنيين. وبعد ذلك حصدت الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) ما معدله خمسة أضعاف من المدنيين مقابل الجنود، ثم في حرب فيتنام التي أزهقت أرواح مدنيين

ماكسيموف ويلقي عليها مزيدا من الضوء. يذكر المؤلف ثلاث رؤى تميز بين ثلاثة مفاهيم للحياة والتقدم البشري وكل منها ينتمي إلى حضارة إنسانية مختلفة:

(١) الحضارة الغربية: حيث العالم هو نشوء النظام من الفوضى وحيث بمقدور الفرد كبح جماح الشر وإخضاع الطبيعة من خلال المعرفة والنشاط العقلي للأفراد.

(٢) الحضارة الشرقية: حيث الكمال المتناغم هو أصل العالم، مع احتمال أن تتضمن الأنشطة البشرية مقدارا من الشر؛ وبالتالي يجب قمع مصادر الشر والعنف في الفرد من خلال الفروض والقواعد والتقاليد الاجتماعية.

(٣) الحضارة السلافية: حيث الخير والشر متضافران في نسيج الكون، وحيث أفعال الناس تعزز أو تضعف هذا أو ذاك وذلك من خلال تفاعلها في المجتمع، وأما الطبيعة فلا تخضع للإنسان أبدا. (ص ١٣٦).

من المعروف أن الفلاسفة الأوربيين في قرني الازدهار الفكري، الثامن عشر والتاسع عشر كانوا يجمعون على توقع مجيء السلم العالمي وحلول الفردوس الأرضي وكانوا مقتنعين بأن الإنسانية، أو نخبها بأقل تقدير، تقترب من زمنها التاريخي المبارك، وكانوا مؤمنين بحقيقة إنقاذ البشرية ووصولها إلى قمة التاريخ، وليس أدل على ذلك أن فكرة السلام الأبدي كانت تطبع بخاتمها معظم أعمال إيمانويل كانط، أبرز فلاسفة تلك الحقبة، فمهما اختلفت أفكار كانط عن المجتمع إلا أن كتاباته تنتهي إلى وضع حد للحروب، وهي أم الشرور كلها. ولكن، وبعد الإحصاءات المخيفة التي يوردها الكاتب

يشكل الترابط بين تقدم الإنسانية والتقدم العسكري جزءاً لا يتجزأ من التطور البشري العام، مع ذلك يبين لنا ماكسيموف أن هذا الترابط لا يخلو من التعقيد وتعدد الأوجه واختلاف الأبعاد. فهناك ثلاث وجهات للنظر شهيرة في عملية تنمية المجتمع:

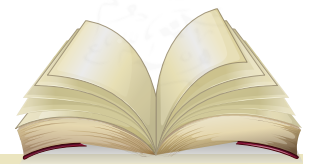
(١) فكرة رجعية التنمية (التي تفترض دائما أن الغد أسوأ من اليوم).

(٢) فكرة التطور التدريجي وفق الماركسية.

(٣) فكرة دورية التنمية التي انعكست في أعمال شبنغلر وتوينبي.

ولا تنكر أي من وجهات النظر الثلاث أن التنمية الاجتماعية تعود إلى حد كبير إلى تطور التكنولوجيا الذي غالبا ما يتسرخ في مجال الصناعة العسكرية، بمعنى أن التقدم الذي ننشده منشأه عسكري وحربي؛ الأمر الذي يضعنا في نوع من التناقض، ذلك لأن التقدم العسكري لا يضمن تقدم المجتمع. فجوهر التقدم هو المسلك الذي يسير بنا إلى الأفضل والأكمل، أما الآلية التي يجب أن يعمل بموجبها التقدم البشري السوي فتكمن في معرفة وتحديد مفهوم الكمال المجتمعي أولا ومن ثم السير على طريق هذا النوع من التقدم أو ذاك. إذ الخير وحده ما ينمو ويتطور وإنما الشر كذلك. ومن هنا لا يكون ثمة تقدم حقيقي، بما فيه التقدم العسكري، من دون وعي بهذا البعد الأخلاقي ومضامينه الإنسانية.

ولإبداء فهم مختلف للتقدم العسكري يرصد المؤلف انعكاس هذا التقدم في العقلية السياسية والاجتماعية لمختلف مناطق العالم، وهذا الفهم المختلف للتطور العسكري يحيلنا مباشرة إلى النظرية التي أطلقها العالم السياسي الأمريكي صمويل هنتجتون عام ١٩٩٣ والتي تقول بصدام الحضارات، التي ينفذها



غير أن المؤلف يجد ثغرة تبرر امتلاك أسلحة الدمار الشامل وإن كان هو الآخر تبريرا يتضمن جانبا من العبثية. وينطلق تبريره هذا من مبدأ: بما أننا صنعنا الشر بأيدينا، أي السلاح الذري، فعلينا التحكم به بنفس الأيدي. وبما أن هذا السلاح المرعب أصبح بين أيدينا فإن معرفة الخطورة الناجمة عن استخدامه هو وحده الكفيل بعدم استخدامه. وبعبارة أخرى: لقد ابتكرنا الشر وصنعنا معه القفص الذي نحبسه في... فأى عبث فوق ما صنعه العقل البشري؟!

يحاول سيرغي ماكسيموف إثبات أن القوة العسكرية الضخمة بإمكانها في حالات معينة أن تمنع الحروب وبالتالي تساهم في حفظ السلم العالمي. مثاله على ذلك المواجهة الكبرى بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا بما عرف بالحرب الباردة، حيث كان توازن الرعب قائما وحقيقيا وبلا حرب، ولكن ما إن انهار الجدار الحديدي حتى انطلق الشر من عقاله ودخل العالم حقبة جديدة تصاعد فيها العنف وانتشرت بؤر الحروب الظالمة التي تشب أحيانا تحت شعار «الحرب حفاظا على السلم».

ويستبعد المؤلف قطعيا أن تتخلى روسيا عن برنامجها في التطوير العسكري حيث المسألة بالنسبة لها مسألة وجود. يكتب عن ذلك: «في ظل الأزمات الاقتصادية وغيرها من الاضطرابات دائما ما يلوح إغراء لحل المشاكل من خلال الضغط والقوة. وليس من قبيل المصادفة أن ترتفع اليوم في روسيا أصوات تنادي بالسيادة على موارد ذات أهمية عالمية. وهذا هو الأمر الذي يمنع روسيا من التخلي عن أسباب الردع الاستراتيجي في أي ظرف من الظروف. وقد ساعدنا هذا في الحفاظ على سيادتنا الوطنية خلال فترة التسعينيات وهي فترة صعبة للغاية لم نكن نمتلك فيها أي شيء ذي وزن غير الردع الاستراتيجي» (ص ٧١).

وبخلاف فلاسفة أوروبا الكلاسيكيين الذين بشروا بالسلام المستدام، يرى الكاتب أن الرؤية للمستقبل تشير إلى بؤر جديدة للتوترات العسكرية. وبحسب رأيه قد تؤثر الحروب القادمة على أمم كبيرة تراها القوى العالمية المسيطرة عقبة أمام ميولها الاستحواذية. كما يشير المؤلف إلى اضمحلال المواد الخام وموارد المياه والأراضي الخصبة والمناطق الآمنة بيئيا التي ستكون السبب الرئيسي في الصراعات السياسية والعسكرية للعقود المقبلة.

الكتاب. التقدم العسكري وخصوصية تجلياتها في تقاليد الغرب.

المؤلف: سيرغي ماكسيموف.

الناشر: إنفرا - م / كراسنويارسك ٢٠١٧ باللغة الروسية.

عدد الصفحات: ٢٥٤ صفحة.

* كاتب عُمانى



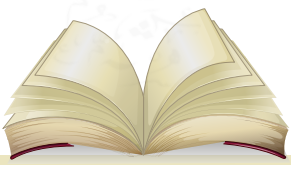
عدها من حقائق ومذاهب وثقافات يتبعها أقوام آخرون تصبح في نظرهم خاطئة وكاذبة بل وخطيرة يجب مقاومتها والحد من أضرارها. ولذلك أيضا فإن مجموع هذه الأفكار والقيم الليبرالية الغربية تمثل أساسا لنسخة جديدة من الأصولية العلمانية التي تُستخدم لإحلال الاحتكار العقائدي بحجج ضرورة نشر القيم الكبرى التي من الواجب أن تشمل المعمورة كلها. وكما هو جار اليوم، فكل شيء لا يقع تحت مظلة النموذج الليبرالي الغربي غالبا ما يتم تعريفه بالتعصب والتطرف والإرهاب إلى آخر هذه التوصيفات الراديكالية والقاطعة. كما يتم فرض أفكار الليبرالية الغربية على المستوى العالمي بشتى الوسائل والطرق ومن بينها استخدام القوة المسلحة. ويرفد المؤلف كتابه بعدد من الأسئلة الملحة والتي تعزز من تقييمه لعدوانية الفكرة الليبرالية الغربية وضيق ألقها الإنساني، من بين تلك الأسئلة: لماذا حينما يتم ضبط حكومة من الحكومات (غير الغربية بطبيعة الحال) وهي تنتهك حقوق الإنسان يتم عقاب تلك الحكومة مع رعاياها، سواء حصل ذلك بشكل عقوبات أو بشن الحرب عليها أو بالإثنين معا؟

ومن ناحية تقنية يشير الكاتب إلى وصول التقدم العسكري إلى طريق مسدود لا سيما فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل، التي يرى الكاتب أنها في مآزق حقيقي. فالأسلحة النووية التي هي أقصى ذرى الشر العقلي، حيث استخدامها كفيل بمحو البشرية جمعا عشرات المرات، وعلى الرغم من عدم فائدتها مطلقا من ناحية التفوق العسكري، إذ لا أحد قادر على استخدامها، مع ذلك نرى التنافس على امتلاكها عند البلدان التي لم تمتلكها بعد وعلى تطويرها بالنسبة للبلدان المالكة لها. وهنا فحوى المآزق الذي يشير إليه الكاتب، أي الاستماتة على امتلاك شيء قاتل وخطير لا فائدة تجنى منه.

يصل عددهم إلى عشرين ضعف القتلى من الجنود» (ص ١٣). ويستنتج الباحث من هذه الإحصائيات أننا: «قد بلغنا الألفية الجديدة ووجدنا أنفسنا حيار واقع لم نكن نتوقعه. ومع ذلك، وبما أن الخيارات كانت متاحة أمامنا في السابق للتنمية البشرية، إلا أننا اخترنا الخيار الخاطئ، وبموجب ذلك يجب الاعتراف أن التوقعات أتت في سياقها الطبيعي» (ص ٦٠-٦١). وهذه هي الفكرة التي أراد أن يصيغها المؤلف، أي أن الإنسان هو صاحب مصيره.

يولي الكاتب الروسي اهتماما كبيرا بمشاكل الحداثة وتحليل خصوصيات التقدم العسكري في القرنين العشرين والواحد والعشرين، رابطا بينها وبين التغييرات الاجتماعية العالمية الأخيرة. ويشير الباحث في هذا الصدد إلى أن اتجاه التطور الاجتماعي ينتقل من الوحدات الكبيرة التي تمثلها الفئات الاجتماعية ذات القوة التنظيمية والتغييرية العظمى إلى المجتمعات الديناميكية الصغرى، ويقصد بها مجتمعات الأقليات، وما قد يسببه ذلك من توترات مزمنة. فقد ازدادت حرية الاختيار الفردي في الالتحاق والانتماء إلى أية فئة مجتمعية يجدها الضرد أكثر مواءمة له وتلبي حاجاته النفسية، ولم تعد مسألة الانتماء مشروطة بالولادة أو بارتباط الأسرة بوحدة اجتماعية أو قومية أو دينية معينة لا يمكن ولا يقبل تبديلها. وكل هذا يعمل ضد توحيد المجتمع ويعزز من احتمالات تفريقه كما أنه يستفز خلافاته الكامنة. ويصور المؤلف مجتمع اليوم بقوله: «يغدو النمو الاقتصادي فيه هو المؤشر الوحيد للتقدم الاجتماعي، وتتشكل علاقات الأفراد فيه من خلال مفاهيم الربح والمصلحة وعقلانية العمل. كما تبدو ثقافة وشخصية الفرد في المجتمع ما بعد الصناعي غير محمية من منطق السوق والوسائل التقنية وتسود الثروات والمرافق المادية على القيم الروحية. ويبقى إنسان المجتمع المعاصر رهين اعتبارات شكلية؛ أما التقاليد الدينية والقواعد الأخلاقية والجمالية فتحتل مكانة ثانوية. والحالة الطبيعية للمجتمع الاستهلاكي هي حالة التنافس والعداء، وامتلاك الحق في كل شيء حتى في القتل (...). ويدعو الغرب العالم إلى البقاء في حالة حرب، ففي المجتمع الفردي (كالمجتمع الغربي) يتراجع كل معيار اجتماعي باستثناء قانون الحقوق» (ص ٤٢).

يضع ماكسيموف التطور العسكري في الغرب الليبرالي موضعا هاما ويقول إن ليبراليي الغرب والساسة الأمريكيين ونخبهم الفكرية غالبا ما يبالغون في تقييم وتثمين مبادئهم الليبرالية المتمركزة على حقوق الإنسان والحريات الديمقراطية واقتصاد السوق، والتي يفسرونها بطريقتهم الخاصة ويعتبرونها مذهبا حقيقيا وحيدا صالحا لكل زمان ومناسبا لكل شعوب العالم. لذلك يتشكل فهمهم للواقع على صيغة «إما وإما» حيث تتخذ الرؤية للواقع والأحداث منظورا وحيدا يحتوي على عقيدة وحيدة تدعي الحقيقة المطلقة، وبالتالي فكل ما



موسكو - القاهرة: ارتفاع وانخفاض مستوى التعاون لميخائيل بوغدانوف

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

تعد العلاقات الروسية المصرية (إلى جانب علاقات روسيا بالدول العربية كافة) فريدة من نوعها، إذ يختلف هذان البلدان في كل شيء: التاريخ، والدين، والعقلية، وخصوصية الاقتصاد والهيكلي السياسي الاجتماعي في دولتيهما. مع ذلك بقيت الدولتان في سعي دائم لإيجاد صيغة للتعاون والتفاعل المثمر بينهما. كانت الأوضاع تتبدل بين حين وآخر، ومنها مثلا أن تعطي السلطة في القاهرة قيادة لا تحمل أي ود تجاه روسيا، ثم وفي الوقت المناسب، تختفي مثل سراب في الصحراء. بالمقابل تعرضت روسيا لاضطرابات سياسية واقتصادية قاسية، تم خلالها استبدال اقتصاد السوق بالتوجه الاشتراكي، والغربة في الركائز الإيديولوجية، كل هذه التحديات التي شهدتها روسيا طيلة القرن العشرين وضعت علاقاتها بمصر في ميزان متأرجح لا يستقر عند مؤشر ثابت. ولكن، وبعد كل شيء، يجب التأكيد على أن كلا البلدين ظل متمسكا بطرف من طرفي العلاقة وليس في نيته التحلي عنه.

أجل حيازة مناطق النفوذ في الشرق الأوسط، ومن آثار ذلك اختفاء التعاون الثنائي في بناء المنشآت الصناعية والزراعية وانخفاض التبادل التجاري بين البلدين، كما تم طرد عشرين ألف عسكري سوفيتي متخصص من مصر عام ١٩٧٢، وفي عام ١٩٧٥ ندد الرئيس السادات بمعاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين وقام بقطع علاقات بلاده الدولية مع الاتحاد السوفيتي.

سوى ذلك، وفي أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات، برزت عقبة أخرى أمام التعاون المثمر بين روسيا ومصر وهي حالة الاقتصاد السوفيتي الذي أصبح غير قادر على منافسة الغرب في منطقة الشرق الأوسط حيث أصيب (الاقتصاد السوفيتي) بأزمة تنظيمية شاملة. في تلك الأثناء دعمت الولايات المتحدة والعديد من الدول الأوروبية الاقتصاد المصري والاستقرار السياسي في مصر ما غير المسار المصري باتجاه الغرب وذلك: «على الرغم من النقد الذي وجه من قبل بعض المحللين لمدى فعالية تلك المعونة الاقتصادية» (ص ٢١)، وخاصة على المدى الطويل.

وبالرغم من وجود رغبة واضحة للتعاون، يكشف لنا الدبلوماسي الروسي لحظات حرجة في عملية تطبيع العلاقات بين البلدين. بداية، وقبل كل شيء، كانت لحظة حرب الشيشان والوضع في شمال القوقاز المسلم. يكتب بوغدانوف في هذا السياق: «التزمت القاهرة رسميا بموقف الحياد الإيجابي من مسألة الشيشان (...) وبالنسبة لوسائل الإعلام المحلية (المصرية) فقد فضلت الاعتماد على معلومات الوكالات الأجنبية كمصدر لها إلى جانب الامتناع عن التعليق من جانبها.

صنف الدبلوماسي تلك التحولات على النحو التالي: الأزمنة (١٩٩١-١٩٩٥)، العودة والبحث عن أشكال جديدة من التعاون (١٩٩٦-٢٠٠٠)، الارتفاع النسبي (٢٠٠٠-٢٠١١) وأخيرا المرحلة من عام ٢٠١١ التي لم تكتمل فصولها بعد ولم يتم تقديرها بمعايير شاملة.

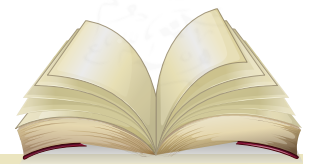
يعرض المؤلف في كتابه تحول العلاقات بين روسيا ومصر بما تحمله من مضامين وأسباب ونتائج سواء بالنسبة لروسيا أو مصر، ويتسع نطاق هذه العلاقة ليشمل منطقة الشرق الأوسط والمجتمع الدولي. ويفيد المؤلف من موقعه السياسي فيقدم للقارئ رؤية مجهرية للدبلوماسية الرسمية الروسية حول العديد من الأحداث التي وقعت ومازالت تجري في منطقة الشرق الأوسط. ويناقش الكاتب طرق التحديث المأمولة بين روسيا ومصر، عارضا أدوات التعاون بين البلدين وواصفا مختلف جوانب التواصل بينهما، كما يحدد العوامل التي تؤثر في تطوير هذه العلاقة أو تقف عائقا دون ذلك.

ومنذ البداية يؤكد المؤلف على إشكالية العلاقات بين روسيا ومصر وعلى طبيعتها المعقدة، مشيرا إلى أن روسيا الجديدة (وعلى الرغم من غرابة هذا الاستنتاج للمؤرخين والمراقبين) كان عليها أن تبني العلاقات مع الجمهورية العربية من نقطة الصفر، حيث أصبح واقعا ملموسا إلى حد بعيد أن علاقة روسيا بمصر، ومنذ سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين قد انحرفت بشكل حاد وخطير. فخلال الحرب الباردة وجد الاتحاد السوفيتي ومصر نفسيهما على طرفي نقيض في التحشيد والصدام بين مختلف النظم العالمية وذلك من

بيد أن الأسئلة تشرع أبوابها في قضية العلاقات الروسية المصرية ومستوى التعاون بين البلدين، وما هي الآفاق المفتوحة لهذا التعاون، وكيف لنا أن نقيم المشاريع الثنائية التي أثمر عنها التعاون المذكور وهل يمكن البناء عليها لقراءة مستقبل العلاقة بين البلدين، بل وبين روسيا وبلدان المشرق العربي قاطبة، باعتبار أن مصر هي قاطرة هذا المشرق وما يترتب عليها انعكاس على المنطقة بأسرها.

يوافينا بالإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها ميخائيل بوغدانوف في كتابه الجديد الذي بين أيدينا «موسكو - القاهرة: ارتفاع وانخفاض مستوى التعاون». وقد لمع اسم بوغدانوف في السنوات الأخيرة، ولا سيما بعد استلامه مهام نائب وزير الخارجية، ومبعوث الرئيس الروسي إلى الشرق الأوسط. وبحكم التغطية الضعيفة لمسألة التعاون بين موسكو والقاهرة سواء في الصحافة الروسية أو العربية، يأتي هذا الكتاب ليسد ثغرة في هذا الجانب، فضلا عن القضايا الأخرى التي ينسكب عليها الضوء تلقائيا كلما دار الحديث عن العلاقات بين دولة كبيرة مثل روسيا وبين المشرق العربي الذي يشهد تغيرات داخلية كبيرة ومؤثرة على الصعيد العالمي.

يناقش الكتاب العقود الأخيرة للعلاقات الروسية المصرية، تحديدا منذ انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ وحتى انطلاق ما يعرف بالربيع العربي عام ٢٠١١. وكما يشير الكاتب، فقد مرت العلاقات الروسية المصرية طوال هذه السنين بمراحل تاريخية عديدة وخضعت لتغيرات ملحوظة، وفي بعض المجالات تكون التغيرات نوعية. وقد



وإنجلترا وألمانيا. ولكن التدفق السياحي الروسي إلى مصر أصيب بمقتل إثر حادثة تحطم الطائرة الروسية في أكتوبر من عام ٢٠١٥ في شبه جزيرة سيناء والتي اعتبرت وقتها أعنف هجوم إرهابي يستهدف المدنيين.

ويضع الباحث العلاقات الروسية المصرية في محك واقعي لا محيد عن تطوره، فإن لم يحدث ذلك في المستقبل القريب، فإن لاعبين آخرين، لا سيما الصين، سيدخلون الحلبة ويستأثرون بالثمار. يكتب عن ذلك: «إن ديناميكية تطور العلاقات الصينية المصرية، والتعاون العربي الصيني، أثار عددا من الأسئلة حول فاعلية الشراكة الروسية المصرية. ففي أوائل القرن الواحد والعشرين شهدت العلاقات العربية الصينية تحولا نوعيا: حققت بكين والعواصم العربية تقدما كبيرا في تطوير التعاون في المجالات السياسية والاقتصادية والإنسانية. لقد تم إنشاء أكثر من عشر آليات للتعاون في شتى المجالات ومنها منتدى الأعمال ولجنة الاستثمار ومنتدى التعاون في مجال الطاقة... إلخ. كما ارتفع حجم التبادل التجاري بين الصين والدول العربية من ٣٦,٧ مليار دولار في عام ٢٠٠٤ إلى ١٣٨,٨ مليار دولار في عام ٢٠٠٨» (ص ١٦٨).

على الرغم من كل ما سبق إلا أن الكاتب يؤكد على تزايد في التنمية المستدامة للتعاون بين القاهرة وموسكو بدأت منذ تسعينيات القرن الماضي، وعلى استمرارية هذا الاتجاه بخلفية الأوضاع الصعبة وسلسلة الأزمات على الأضعدة القطرية والإقليمية والعالمية، ذلك لأن أساس العلاقات بين روسيا ومصر محكوم بعوامل لا يمكن إنكار عمقها وأهميتها الخاصة.

اعتمد الدبلوماسي الروسي ميخائيل بوغدانوف على منهج علمي رزين في تأليف كتابه مع الاستفادة من خبرته العملية ورؤيته في التحليل السياسي وأيضا عن طريق الرجوع إلى أرشيفه الخاص المكون من ألفين وخمسمئة صفحة تضمنت يوميات ومقالات ومقابلات في وسائل الإعلام الروسية والعربية.

الكتاب: موسكو - القاهرة: ارتضاع وانخفاض مستوى التعاون.

المؤلف: ميخائيل بوغدانوف.

الناشر: جامعة موسكو الحكومية للعلاقات الدولية، موسكو ٢٠١٧.

اللغة: الروسية.

عدد الصفحات: ٣٣٣ صفحة.

* مستعربة وأكاديمية روسية



الحظ نشأت عوامل داخلية لدى الطرف الروسي أفشلت المشروع ما تسبب في إلحاق نوع من الضرر بالمستثمر المصري» (ص ٩١).

غير ذلك يذكر الكاتب بعض المحطات الإيجابية في التعاون الروسي المصري، التي لم تخل بدورها من بقع سوداء. يشير المؤلف إلى أن جميع نقاط الخلاف التي اعتبرت المشاريع الإيجابية بين الطرفين كانت بسبب تضارب السياسة الخارجية للبلدين أو بأمور تتعلق بالعلاقات الثقافية. ومع أن روسيا كانت من بين البلدان الأولى التي أنشأت علاقات للشراكة مع جامعة الدول العربية، إلا أنه ومع مرور الوقت أصبح من الواضح أن: «موسكو تتأخر أكثر وأكثر ليس أمام الأوروبيين والصينيين وحسب، ولكن حتى أمام بلدان أمريكا اللاتينية» (ص ١٥٢). ومن هنا لم يساعد الوضع الروسي تطلعات مصر ولم تجد نفعاً دعوة روسيا كضيف أجنبي وحيد إلى القمة الاقتصادية العربية في شرم الشيخ في عام ٢٠١١.

ومن الأمثلة الإيجابية للعلاقات الروسية المصرية في العقود الأخيرة، تعزيز التفاهم في المجالات الروحية والثقافية كإقرار مجلس جامعة الأزهر موافقته على الترجمة الجديدة للقرآن الكريم إلى اللغة الروسية للمستعربة الروسية فاليريا بوروخوفا، وكذلك قرار إنشاء الجامعة المصرية الروسية. ويشار إلى أن الحكومة المصرية تقدمت باقتراح لحذف كلمة الروسية من اسم الجامعة لأن مساهمة روسيا في مرحلة إنشائها كان يدنو من الصفر.

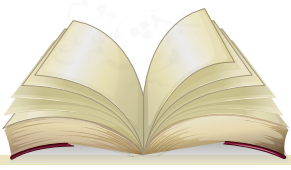
لنأخذ مجالا آخر- التعاون بين البلدين في مجال السياحة الذي تطور بشكل ملحوظ منتصف عام ألفين ومضى بخطى مشجعة. فعدد السياح الروس الذين يزورون مصر قد تجاوز أعداد السياح من البلدان الأخرى بما فيها فرنسا

وعلى ما يبدو فقد ترك هذا الموقف المحايد لدى الروس انطبعا بازدواجية النظرة المصرية تجاه الأحداث في شمال القوقاز، وإن كان ذلك بلا أي تدخل مصري» (ص ٤٥). ويتابع بوغدانوف عن وزير الخارجية المصري عمرو موسى حيث: «أكد أن مصر ترى أن الشيشان جزء من روسيا وبأن الأحداث هناك شأن داخلي لروسيا. ولكن في أحد المؤتمرات دعا إلى وقف القتال وبدء عملية المباحثات» (ص ٤٦).

ثمة عوامل خطيرة يجدها الباحث في مقدمة العوائق التي تقف أمام التطورات الإيجابية بين البلدين ومن بينها الرهاب المتولد من خوف القاهرة من الاعتماد الكبير على موسكو في مجالات أساسية. إلا أن المؤلف يرى الواقع من زاوية مختلفة، فإن كان ثمة تبعية لأي من البلدين للآخر، فهي تبعية مشتركة ومتبادلة. وهكذا فوق الإحصائيات نجد أن أربعين بالمائة من احتياجات الحبوب المصرية تأتي من روسيا، وبالمقابل فهذه النسبة تشكل أكثر من نصف الصادرات الروسية للحبوب.

وفيما يتعلق بالجوانب السلبية في العلاقات الثنائية بين البلدين في القرن الواحد والعشرين، يلاحظ الدبلوماسي الذي كان يشغل منصب سفير روسيا في القاهرة في الفترة ما بين ٢٠٠٥-٢٠١١ أنها برزت في منتصف العقد الأول من هذا القرن، وسببه قلق الحكومة المصرية بشأن سيناريو تغيير السلطة. كانت الدوائر المصرية العليا تسعى إلى توظيف دعم موسكو لها في مواجهة المعارضة داخل البلاد، لاسيما أن ذلك يأتي على خلفية الانتقادات الغربية لنظام مبارك في عدد من القضايا الرئيسية لسياسته الداخلية. وفي ظل تلك الظروف اتخذت روسيا موقفا مبدئيا وثابتا بعدم التدخل في الشؤون الداخلية المصرية كما أبدت استعدادها للتعاون مع أية حكومة مصرية تأتي، الأمر الذي أحبط الطرف المصري.

يقدم الكاتب صورة موسعة من المشاريع التي تم التخطيط لها بين البلدين ولكن من غير أن ترى النور. من بينها عرض المصريين لإنشاء منطقة صناعية روسية بالقرب من الإسكندرية ولكن باستثمار روسي كامل، الأمر الذي لم يقبله الجانب الروسي، ويعلل الكاتب ذلك الفضل بقوله: «منذ بداية عام ألفين وثمانية، إبان الأزمة المالية العالمية، أصبح واضحا أن السواد الأعظم من الشركات الروسية لا تملك ما يكفي من رأس المال لإنشاء مجمعات استثمارية في الخارج، كما أن منتجاتها ليست دائما قادرة على المنافسة لجذب الاستثمارات الخاصة». ومن المشاريع الأكثر إثارة للاهتمام مشروع الصناعة المشتركة لطائرة تو-٢٠٤ ولكن، وكما يشير المؤلف: «لسوء



التجديد الإسلامي: من منظور مقترحات محمد أسد على خلفية الخطاب عن حالة العالم الإسلامي لكارولينا راك

يوسف شحادة *

تقدم الدكتورة كارولينا راك كتابها هذا، الحافل بمباحث تتناول قضايا مهمة في تطور الفكر الإسلامي التجديدي، مركزة على رؤى وأفكار الشخصية المبرزة ذات الشهرة العالمية - محمد أسد، الذي كان له دور كبير في رسم ملامح تجديدية في هذا الفكر على مدى القرن العشرين. لم يكن هذا الكتاب الأول الذي استعرض أعمال محمد أسد الفكرية، وطرح وجهة نظره في شؤون الإسلام. فقد صدرت مؤلفات كثيرة عنه في بلاد عربية، وأجنبية، أفادت منها كارولينا راك في تقديم صورة متكاملة وشاملة، تثير الاهتمام في رصانتها، وموضوعيتها، في سعي حثيث إلى عدم الخروج عن منهج علمي تحليلي لا يخلو من النقد، والاستدلال، والاستنتاج. ومن بين الدراسات التي وقفت عليها الباحثة يمكن ذكر: كتاب «محمد أسد. سيرة عقل يبحث عن الإيمان» لمحمد عدس، وكتاب «محمد أسد هبة الإسلام لأوروبا» لعبد الرحمن الشبيلي، وكتاب «فكر محمد أسد كما لا يعرفه الآخرون» لإبراهيم عواد.

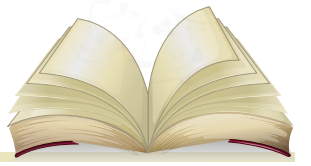
سواء، فيسمى عند الأوربيين «هبة الأوربيين للإسلام»، وعند العرب: «هبة الإسلام لأوروبا»، كما عبر عن ذلك الكاتب السعودي عبد الرحمن الشبيلي حتى في عنوان كتابه المتضمن هذه الكلمات. أما أفكار أسد، وأسئلته، وأطاريحه، فكانت موضع شرح وتحليل في هذا الكتاب، انصب جل اهتمام المؤلف فيه على قضية تراجع الحضارة الإسلامية، وركودها، كما رآها أسد في ثلاثينيات القرن العشرين. وبذلك عدته من أرفع الباحثين والمفكرين منزلة في حراك تجديد الفكر الإسلامي في العصر الحديث. وعلى خلفية النقاش حول وجوب إعادة إحياء أمة الإسلام، تبدو نظرة محمد أسد إلى هذا الدين على أنه - كما تقول الكاتبة - برنامج حياة بالنسبة إلى الإنسان كفرد، وبالنسبة إلى المجتمع وأحواله، وكيونة الدولة المبنية على أسس الإسلام. وقد اقترح برنامجاً للأمة المسلمة، واضعاً نصب عينيه ضرورة نهوض الأمة على أساس مبادئ الإسلام في منطلقاته الأولية، وشخصيته الابتدائية. يظهر هذا المبحث بجلاء أن أعمال أسد تقدم مقاربة لأهم القضايا التي تقع في صلب المشروع التجديدي، وأن حياته التي امتدت إلى مئة عام تقريبا كانت حافلة بتحويلات، والتفافات، دلت على استثنائية هذه الشخصية، وتميزها، في إطار دراسة الإسلام، وموروثه الأوربي، إن جاز التعبير.

تعدد الكاتبة أعمال محمد أسد شارحة أهم النقاط، والقضايا المطروحة فيها، وبذلك تقدم إلى القارئ معلومات قيمة، لا غنى عنها، لمعرفة طريقة تفكير هذه الشخصية الفذة، وفهم آرائه ومنهجه. ومن مؤلفاته التي تسترعي الاهتمام كتاب: «الشرق غير الرومانسي»، الذي كتبه بالألمانية قبل إسلامه، وفيه يظهر افتتانه بالشرق، والعرب وثقافتهم، من خلال رحلته إلى المشرق العربي، وتحديدًا إلى فلسطين، عام ١٩٢٢. أما كتاب «الطريق إلى مكة»، فيروي سيرة أسد، وكما ترى الباحثة فهو موجه إلى المسلمين، وإلى القراء الغربيين، وتؤكد أنه أحد أفضل الأعمال التي تتناول موضوعات التحولات الروحانية. ويمكن عده ظاهرة مميزة في أدب

لاحقًا، في العصر الحديث، في مناطق إسلامية، وعلى الخصوص في الهند، على يد أحمد خان، فأثرت متأثرًا بأفكار الغرب. تشير المؤلفة، مقتبسة رأي الباحث مارك شومجينسكي، إلى أن «الإسلام البروتستانتي» إذا كان له من معنى، فلا يمكن أن يكون إلا مرتبطًا بالإسلام الشيعي، الذي يلعب رجال الدين فيه دورًا نافيًا (ص) وتدل على صحة هذا الرأي موردة مقتبسة من علي شريعتي، وهو كما تؤكد، أول مثقف إيراني استخدم مصطلح «البروتستانتية الإسلامية» في تعليقه على ضرورة الإصلاحات. ونجد هنا مبحثًا شديد الأهمية، إذ يتناول بالشرح، والتمحيص، طبيعة التجديد وخصائصه، ضمن سياق تاريخي طويل. وتقر الكاتبة بوجود فرعين مهمين في حركة التجديد، أولهما يمثل التيار الحدائثي، وثانيهما يعبر عنه التيار الأصولي. وترتكز على دراسة الخطاب التجديدي في فكر الإسلام السياسي، مبرزة دور المنشورات الدينية في توسيع دائرة النقاش الدائر حول الفكر الديني السياسي.

يخصص الفصل الثاني من الكتاب لشخصية محمد أسد - المفكر، والمتحول دينيًا من اليهودية إلى الإسلام. نرى فيه تركيزًا على جوانب كثيرة من سيرته، وحياته المثيرة للاهتمام، والفضول، بكل تحولاتها وتلوناتها. فهو المولود عام ١٩٠٠م لأسرة يهودية، باسم ليوبولد فايس، في مدينة لفوف التي كانت منطقة بولندية تحتلها الإمبراطورية النمساوية المجرية، وبعد اندحار الاحتلال الألماني ضُمت إلى أوكرانيا. وكانت لفوف مركزًا ثقافيًا، اختلطت فيه ثقافات متنوعة لشعوب، وديانات مختلفة. أما الأمر الذي غير مجرى حياة ليوبولد كليًا، فكان رحلته من برلين إلى القدس في بداية شبابه. وكما تكتب كارولينا راك فقد هام بالشرق، وأبهرته حياة العرب، فوصفهم بالأحرار الذين يعيشون حياة بسيطة، لكنها إنسانية حقيقية. اعتنق محمد أسد الإسلام عام ١٩٢٦، واتخذ منهجًا للحياة، وقد رآه، على حد تعبير المؤلفة، نظامًا مثاليًا للناس. وتشير إلى أهمية هذا الرجل عند العرب والأوربيين على حد

ينقسم كتاب «التجديد الإسلامي» إلى خمسة فصول تعالج مسائل شديدة التنوع في مباحث مختلفة، تتشعب لتمس قضايا شديدة الأهمية في مسارات الفكر الإسلامي الحديث. يعرض الفصل الأول لمفهوم التجديد في الفكر الإسلامي، وأحوال مفكره وأطاريحهم المتداخلة، من منظور تاريخي ومرورا بمحطات مهمة في التاريخ الإسلامي، ومنها خاصة عصر النهضة، وما رافقه من اجتهاد، وحراك، تمخضت عنهما أفكار تدعو إلى الإحياء والصحة. تطرح الكاتبة مشكلة المصطلحات التي غالبًا ما تثير لغطًا، أو غموضًا يجعل فهمها بشكل صحيح عسيرًا. فمصطلحات، مثل «الأصولية»، أو «الإسلاميون»، أو «السلفية»، قد تفهم بشكل متناقض، فهي قد تبدو في مضامينها، من حيث السياق التاريخي، معبرة عن الفكر التجديدي في الإسلام، ولكنها في معانيها الحديثة، وخاصة في دلالاتها السياسية، تخرج عن مفهوم التجديد. لا شك أن بحث هذه المسألة أمر لا يخلو من التعقيد، لذلك فمن المفترض أن يكون لزامًا على المؤلفة ألا تكتفي بطرحه في صفحة واحدة فقط، وأن تتوسع فيه بصورة أكبر. وما يثير الانتباه أنها حاولت فعل ذلك، وعادت إلى مناقشة هذا الأمر، لكن في مواضع أخرى من الكتاب، متحدثة عن الاستخدام الخاطئ لبعض المسميات الحديثة مثل: «الإسلام الليبرالي»، أو «الإسلام التقدمي»، أو حتى «الإسلام الحدائثي». ومن المباحث المثيرة للجدل، المطروحة هنا، فكرة البروتستانتية الإسلامية، وهي تسمية أطلقها بعض المفكرين الأوربيين الباحثين في خصائص التجديد في الفكر الإسلامي تيمنا بأفكار مارتين لوتر الإصلاحية. وتحدثت الكاتبة هنا عن تيار «أهل القرآن» أو «القرآنيون»، وهو تيار يكتفي بالقرآن، دون السنة النبوية، مصدرًا للإيمان والتشريع، وتراه - اعتمادًا على آراء باحثين بولنديين وغربيين - خليطًا من مبادئ الإسلام والأفكار الغربية. وقد يبدو هذا الأمر مبالغًا فيه، إذ يمكن القول أن مثل هذا التيار قد نشأ وترعرع في بيئة إسلامية خالصة، وإن تطور



فالأوجب الديني، كما يؤكد أسد، يحتم عليهم طاعة الحاكم، ما دام لم يخرج عن أحكام الشريعة. وعموما نرى أن الدولة عنده يجب أن تقوم على أسس دينية، فهي مصدر الأخلاقيات، والسعادة المعبرة عن عدالة الحق الإلهي.

شرح القرآن، وتفسير معانيه، وتأويلها، يكون محور الفصل الأخير من كتاب «التجديد الإسلامي»، الذي يحتوي على مسائل شديدة الأهمية في الفكر الإسلامي الحديث، أساسها الاختلاف في التأويل. تجهد الكاتبة في تقديم كتاب محمد أسد «رسالة القرآن»، الذي يوصف بأنه ترجمة لمعاني الكتاب المبين موجهة «لقوم متفكرون»، وما يثير الاهتمام هنا، تناول الباحثة بالتحليل والتعليق موضوع اللغة في الترجمة التي استخدمها أسد. فتراها تستشف الدلالات التأويلية في استخدام ألفاظ، وتعابير، تخالف المعنى العام في التفسير القرآني السائد، مثل تعابير «من خلاف»، و«كواعب أترابا»، و«حور عين»، وكلمة «الأعراف» وكلمة «طه»، وغيرها كثير. وتظهر أفكار أسد التي تستند إلى تأويل النص القرآني بشكل مختلف عن الشائع، ومن ذلك تعليقه أن المرأة والرجل سيتشاطران الجنة، ونعمها، وملذاتها، على أن تؤخذ الجنة وأوصافها القرآنية على أساس مفهومها المجازي، لا الحري. وتبين الباحثة الطابع المجازي لترجمة أسد لمعاني القرآن، وتفرد مبحثا خاصا لهذه المسألة، ما يعطي انطباعا حسنا عن الجهد المبذول في تقديم صورة شاملة عن رؤى محمد أسد، وأفكاره التجديدية.

لا شك أن كتاب «التجديد الإسلامي» يمثل خطوة جريئة في دراسة الإسلام عامة، والحراك التجديدي فيه خاصة، على أساس منطلقات محمد أسد الفكرية. تتمثل هذه الجرأة في كيفية تقديم هذا العمل لجمهور ينظر بتشكك إلى الإسلام، وقد كتب عن هذا الدين في بولندا، بلغة مفكرها وباحثها، الكثير من غث وسمين، وخاصة في العقدين المنصرمين. الجريء أيضا في هذا الكتاب عدم تهيب مؤلفته من الغوص في قضايا فقهية دينية، وأخرى فقهية لغوية، وإقدامها على معالجة عويص الكلام من لغة الضاد، وتحليل تأويلات معانيه، ودلالات مجازاته. وهذا جهد كبير يجعل الكتاب مهما في دراسة الفكر الإسلامي التجديدي وبعض أعلامه اللامعين، وفهم مشكلات النصوص الدينية من منظور العصر الحديث.

الكتاب: التجديد الإسلامي من منظور مقترحات محمد أسد على خلفية الخطاب عن حالة العالم الإسلامي

المؤلفة: كارولينا راك

الناشر: دار جماعة ياغيلونسكي Wydawnictwo Uniwersytetu Jagiellońskiego

مكان النشر: كراكوف - بولندا

سنة النشر: ٢٠١٦

لغة الكتاب: البولندية

عدد الصفحات: ١٨٤ صفحة

* أكاديمي فلسطيني مقيم في بولندا

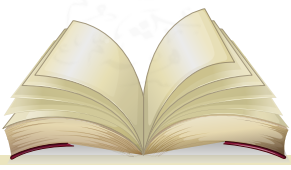


يغدو الإسلام النظام الأمثل لبرنامج الحياة المنشود. ونرى في المبحث الموسوم بـ «سقوط المجتمعات المسلمة» تحليلا مستفيضا لأراء محمد أسد، وغيره من المفكرين المسلمين، مثل جمال الدين الأفغاني، حول أسباب ذلك السقوط، وسبل النهوض بالأمّة. تبحث كارولينا راك موضوعا تضعه تحت عنوان «حضارة الأشياء كنقد للمادية» متناولة فيه، بشكل رئيس، أفكار واحد من أعلام الفكر الإسلامي - الجزائري مالك بن نبي، ورؤيته للحضارة الإسلامية، وفلسفته تجاه المتغيرات التي طرأت على الفرد والمجتمع، والدور الذي لعبه عنصر الزمن في صيرورة الأشياء، وسيرورة الأفراد. وتتوسع المؤلفة في تقديم هذه الأطاريج الفلسفية، وتجتهد في تثبيت تحليل علمي، يعتمد المقارنات، والاستنباطات، لتقريب صورة الاختلاف الحضاري بين عالمي الإسلام والغرب من حيث القيم ومادية الأشياء. بيد أنها، ورغم ذلك كله، أبقت مفهوم «حضارة الأشياء» مختبئا بين السطور، ولم يُجل عنه غبار الغموض. تكشف المؤلفة، في مبحثين من هذا الفصل، عن اقتراحات محمد أسد حول الإصلاح، وموضوع التربية والتعليم. وتحدثت عن آرائه في شؤون مهمة متعددة، منها ما يخص القياس، والاجتهاد، والإجماع، والتقليد، وتشرح مفهومه الخاص لهذه التسميات، بما يتقاطع مع مؤيدي الفكر التجديدي الإسلامي. وتدخل راك في قضايا فقهية، قد تكون عسيرة الفهم بالنسبة إلى القارئ غير المسلم، ولكنها ضرورية لشرح رؤى مؤلف «رسالة القرآن»، وأفكاره التجديدية.

تتناول الكاتبة في الفصل الرابع مفهوم محمد أسد للدولة المسلمة، وينصب اهتمامها على محاور عدة، تضع عنوانات لها، فيأتي بعضها بصيغة الاستفهام. من خلال السؤالين: «لماذا نحتاج الدولة المسلمة؟ وما هي الدولة المسلمة؟» تبرز أفكار أسد الذي ينتقد الفوضى الغربية، محاولا البحث عن القيم التي يجدها أولا في الإسلام. ونقرأ تفصيلات تفيد في توضيح أهداف الدولة المسلمة التي تؤكد وحدة الأفراد، وتعاونهم في مجتمع إيماني، وكل ذلك ضمن أحكام الشريعة، كمبدأ للتشريع. وهناك شرح يتعلق بكيفية النظر إلى مواطني هذه الدولة،

السيرة، إذ أنه كتب بلغة حية وغنية. وكما تزعم، فالكتاب شهادة أخلاقية، وروحانية، لاحتضار الغرب الذي عجلت المادية، بشكل خاص، من دنو أمره. تتطرق الدكتورة راك أيضا إلى كتاب «رسالة القرآن»، وهو شرح دقيق لآيات القرآن، متنوع بتعاليق تفسيرية، بل وتأويلية، لا تزال إلى يومنا هذا موضوع خلاف وجدل بين مفكري تيارات شتى من الفكر الإسلامي. هنا تشير الباحثة بشكل صائب إلى الطابع المجازي لتأويلات أسد، حيث يتخطى المفاهيم السائدة حول جزئيات مهمة في العقيدة الإسلامية. تبين مباحث الكتاب أن منهاج محمد أسد التجديدي واضح في أعماله، وسهل استيعابه، وإدراك مراميه. تحثنا المؤلفة على أن نتذكر دور هذه الشخصية الأوروبية المسلمة في تقريب الغرب إلى مشكلات الإسلام المعقدة في الوقت الراهن، من منظور رؤية إنسان متحول إلى الإسلام من تقاليد اليهودية - المسيحية.

تخصص كارولينا راك فصلا كاملا من كتابها لحال المسلمين الصعبة في العصر الحديث، مستلهمة عنوان كتاب محمد أسد «الإسلام على مفترق الطرق»، فتحوض غمار ملفات عاجها هذا الأخير برؤية تاريخية وعقائدية شاملة. فصعود النزعة المادية في أوروبا، ومحاولة تقليد المسلمين للغرب، عقدا وضع الأمّة المسلمة، فجعل البعض يسير في الاتجاه المعاكس، إذ نحا نحو المغالاة في محاولات استحضار الماضي، وتجديده. وهنا نجد صدى كلمات محمد أسد عن أسباب فساد الأمّة المسلمة، وفي مقدمتها أن أفرادها توقفوا عن العيش في توافق مع روح الإسلام. وإن كان هذا الكلام صحيحا في منحاه العام، فلا يمكن عدّه كذلك في مناح أخرى مهمة من حياة العرب، كما فعلت المؤلفة إذ ذهبت بعيدا في قضية هزيمة حزيران عام ١٩٦٧. فالحديث عن تلك النكسة كونها نقطة الذروة في مأساة الفكر الإسلامي الحديث أمر يجانب الصواب، فالصراع العربي الإسرائيلي لم يكن صراعا إسلاميا يهوديا قط، لا قبل عام ١٩٦٧ ولا بعده، بل صراع قومي لا يتحمل الإسلام الهزيمة فيه، بل تتحملها أنظمة الحكم القومية. تولي الكاتبة اهتماما بالغا لنقد أسد الموجه إلى الحضارة الغربية، حيث يرى سبب انحطاطها يعود إلى كونها مضادة للدين، بسبب أهوائها المادية البعيدة عن الروحانية، فهي تنظر إلى الحياة الإنسانية، وقيمها، ومنذ زمن الروم، من منظور مادي. نجد في هذا الفصل كثيفا لأطاريح محمد أسد في كثير من القضايا المهمة، كمسألة الفرق بين العالم المسيحي والمسيحية كدين، ومسألة الأحداث الثلاثة الحاسمة في العلاقات بين الإسلام والغرب، وهي: الحروب الصليبية، وتدمير إسبانيا المسلمة، وسقوط القسطنطينية. بيد أن الباحثة هنا تنجم عن إيصال رأيها من خلال استنتاجات، واستنباطات، ما قد يعطي انطباعا أن مباحثها هنا ظلت أسيرة السرد الوصفي وبعيدة عن روح النقد والتحليل. لكننا نجدها في المباحث التالية أفضل حالا في تقديم أطاريح في موضوعات تحظى بشرح وافر، وتحليل يستحق الانتباه. ففي مسألة الانسجام في الإسلام، كواحد من النماذج الفكرية الدينية، نجد رؤية عميقة، فيها تأكيد جلي أن الإسلام يجمع حاجات الروح والجسد في تناغم واضح، يحرص على تمكين رغبات الجسد من التحقق في الحياة اليومية للحصول على الانسجام الذاتي والروحي، وبذلك



لا بيانات: أية حرية في عالم رقمي؟ جون بول أيمتي

محمد الحدّاد *

ترتبط بعالمنا اليوم ظواهر حضارية جديدة ستكون حاسمة في رسم معالمه وتحديد عيش سكانه. وما زالت هذه الظواهر غير مطروحة بشكل كاف وواضح أمام جمهور المثقفين والقراء، بحكم أنها جديدة ومعقدة أحيانا في آلياتها ومضامينها. وقد تتداول وسائل الإعلام أحيانا تنبؤات تبدو غريبة ومفترعة، تمثل نتائج محتملة لهذه الظواهر. على سبيل المثال، يعرف الجميع ظاهرة الاحتباس الحراري والتغيرات المناخية النوعية التي يشهدها العالم منذ سنوات، فهل سينتهي ذلك بالسيناريوهات الكارثية التي يتوقعها بعض الخبراء، على غرار اندثار جزر وبلدان بكاملها، وحدوث موجات من الهجرة الجماعية بسبب التغيرات المناخية تشمل عشرات الملايين من البشر؟ ويسمع الجميع ببرامج فك شيفرات الجينات البشرية وقدرة الطب على تعديل هذه الجينات، فهل سينتهي ذلك إلى القضاء الكلي على الأمراض الفتاكة والمزمنة، ويصبح ممكنا تخليص الإنسان وهو جنين في بطن أمه من كل المخاطر الصحية التي كانت تهدد حياته؟ وإذا حصل ذلك، فهل يتحقق التنبؤ الذي أطلقه بيل ماريتس، أحد مسيري مؤسسة «غوغل»، بأن يبلغ متوسط عمر الإنسان مستقبلا ٥٠٠ سنة؟

الرسائل الإشهارية، أو في أشكال أخرى أكثر خفاءً وتعقيدا، مثل تقديم أخبار معينة دون أخرى أو اقتراح أصدقاء افتراضيين جدد يشاركوننا الميول والرغبات، وحجب آخرين مختلفين عنا كان يمكن أن يساهموا باختلافهم في تعديل آرائنا ومواقفنا أو مراجعتها.

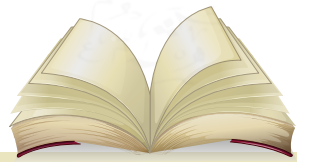
وطبعا لا يقتصر الأمر على الأفراد، فإن المؤسسات التجارية والإدارات والوزارات ومراكز السيادة للدول وغيرها تواجه بدورها هذا التحدي. ولقد صار من الصعب على أكبر المؤسسات والدول في العالم أن تتصدى لذلك. لقد قام جوليان أسانج، مؤسس «ويكيليكس»، بإرسال عشرات الآلاف من المعطيات الديبلوماسية الأمريكية السرية إلى قواعد البيانات العالمية فلم تعد واشنطن قادرة على استرجاعها أو حجبها. وفي سنة ٢٠١٤، حكم القضاء الفرنسي على مؤسسة «غوغل» العملاقة بخضية مالية لمخالفتها مبدأ سرية المراسلات، لكن المؤسسة لم تمتثل إلى الحكم، كما أن المبلغ المالي يعتبر بسيطا بالمقارنة بالأرباح الضخمة التي تجنيها «غوغل» من استغلال البيانات الشخصية لمستخدميها. وفي الأسبوع الماضي، أعلن مجددا عن خطية مالية ضد هذه المؤسسة، فرضها هذه المرة الاتحاد الأوروبي، وقد وصفت بالقياسية وغير المسبوقة والأكبر في التاريخ، إذ تجاوزت ٢,٤ مليار يورو، على خلفية الهيمنة على الأسواق وتوجيه المستهلكين إلى مواد معينة، وتطلب صدور الحكم أكثر من سبع سنوات من التحقيق والاستقصاء، ومن المرجح أن تعترض غوغل وتفتح مواجهة قضائية تتواصل سنوات طويلة تمكنها من التهرب من تسديد المبلغ.

بعضهم البعض، دون وجود معرفة سابقة بينهم، وذلك من خلال قواعد البيانات العملاقة التي تستعملها وسائل التواصل الاجتماعي مثل «تويتر» و«فيسبوك». وبفضل خوارزميات جبارة، يمكن إقامة شبكات افتراضية تمهد لعمليات احتجاج ضخمة مثلا. فعلى عكس الطريقة التقليدية في الاحتجاجات التي تتطلب أشهرا لتجميع الأتباع وحشدهم، فإن قواعد البيانات تتولى التقريب بين المحتجين والتشبيك بينهم في بضعة أيام أو ساعات. ولئن كانت وسائل التواصل الاجتماعي متاحة للجميع فإن الخوارزميات التي تعمل بها محفوظة بسرية أكبر من أسرار الدول، فعملية التشبيك التي تبدو تلقائية لدى مستعملي وسائل التواصل الاجتماعي تخضع في الحقيقة إلى هذه الخوارزميات التي لا يعرف سرها إلا حفنة من البشر.

وعندما نقرأ كتاب أيمتي، نصاب بشيء من الإحباط والفرح، لأننا ندرك أننا قد سلمنا في كل بياناتنا الشخصية لقواعد البيانات العملاقة، ولم يعد من وسيلة لاسترجاعها أو حجبها. فعلى مدى سنوات من استعمال الأنترنت، سمحنا لهذه القواعد بأن تحلل رسائلنا الإلكترونية وأبحاثنا على الشبكة العنكبوتية وتسجل أسماءنا وتواريخ ميلادنا التي كتبناها مرة بمناسبة حجز تذكرة سفر مثلا، وتكشف عن كل واحد منا قائمة أقاربه وأصدقائه، وبمقتضى هذه البيانات الأولية التي فرطنا فيها دون وعي، يمكن للخوارزميات الجبارة أن تحدد بدقة ميولاتنا ورغباتنا وتؤثر فينا عبر الإرسال الموجه للبيانات إلينا، سواء في أشكال بسيطة مثل

الحقيقة أن دراسة ما يمكن أن نطلق عليه الظواهر الحضارية الجديدة هو ميدان بكر في الغرب، أما في الثقافة العربية فإن الكتابات والترجمات فيه تكاد تكون معدومة. ثمة من جهة معطيات تقنية يصعب تمحيصها وعرضها في لغة مفهومة لعامة القراء، وثمة من جهة ثانية معايير يدرکها الجميع دون أن يكونوا قادرين على فهمها والتنبؤ بتبعاتها مستقبلا. ولا شك أن مؤسسات ضخمة تعمل بصمت في هذا المجال، وليس من السهل فهم ما تخطط له وتصبو إليه، لكن الاستثمارات بعشرات المليارات تقوم شاهدا على أهمية الظواهر وما ستؤدي إليه مستقبلا من تبعات على حياة البشر عامة.

ما يدعى بقواعد البيانات العملاقة (Big Data) يمثل ظاهرة من هذه الظواهر، وقد بذل جون بول أيمتي في كتابه «لا بيانات: أية حرية في عالم رقمي؟» جهدا كبيرا لتبسيطها لعامة القراء، وهو دكتور في الرياضيات وأستاذ في التسويق الاقتصادي ومدير سابق للمركز الفرنسي للبحث العلمي وتولى أيضا إدارة أكبر مؤسستين فرنسيتين للاستشراق وسبر الآراء. وقبل أن نستعرض بعض ما يقدمه من معلومات مثيرة وخطيرة في هذا الموضوع، يتعين أن نذكر بأن ظاهرة الثورات التي شهدتها المنطقة العربية سنوات ٢٠١٠-٢٠١٢، وما زالت ارتداداتها مستمرة إلى حد اليوم، ترتبط ارتباطا وثيقا بقواعد البيانات العملاقة، وتؤكد ضرورة اهتمام المثقفين العرب بفهم الظواهر العميقة المؤثرة في العالم اليوم. فهذه القواعد تمكن عشرات الآلاف من الأشخاص الذين يحملون نفس الآراء في مسألة معينة من أن يدخلوا بسرعة في عملية تشبيك بين



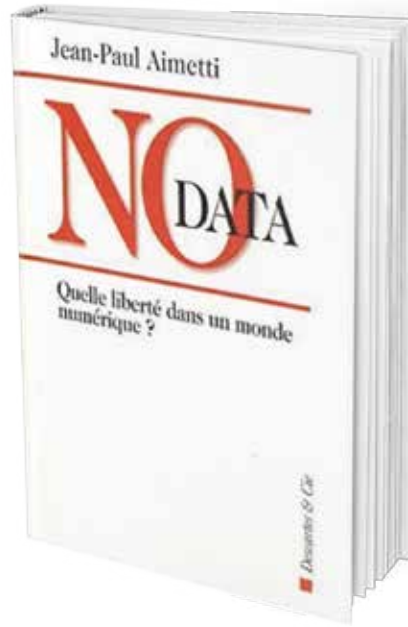
العلني منها.

وبصرف النظر عن التبعات الإيجابية أو السلبية التي ستترتب على الموجة الأخيرة من الثورة الرقمية، كما حصل على مدى التاريخ مع كل التحولات التكنولوجية، فإن الموضوع الفلسفي المطروح يتعلق أساساً بالحرية الإنسانية التي ستواجه تحديات من نوع جديد. لقد تميز الإنسان عن بقية الكائنات بالعقل، لكن العقل يتصرف حسب المعطيات التي تقدم له، وهذه المعطيات لم يعد مصدرها الأساسي الأسرة أو المدرسة أو المكتبة، وإنما العالم الرقمي الخاضع لقواعد التسويق التجاري. هذا ما ينبغي التأكيد عليه لفهم التحدي الذي تواجهه الحرية الإنسانية، لأنها لا تستلب في هذه الحالة بالإكراه أو العنف وإنما بوسائل ناعمة يستسلم إليها الإنسان من تلقاء نفسه، فهي تمنحه شعوراً بالرفاه والانفتاح على عالم أوسع بكثير من عالمه اليومي المباشر.

ثمة تحولات حضارية عميقة تشبه تلك التي شهدتها البشرية مع الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، ستتقدم العديد من الإيجابيات والسلبيات في الآن ذاته، وسيكون من العسير الحكم على تبعاتها منذ الآن. لكن الأكد أننا نحتاج إلى مؤلفات من نوع هذا الكتاب كي نفهم بطريقة علمية طبيعة هذه التحولات الحضارية، حتى لو شعرنا بالعجز أمامها، لاسيما أنها تحصل كلها بعيداً عن المجتمعات العربية وعن اهتمامات المثقفين العرب، مع أنها تدور في النهاية حول تطوير الخوارزميات التي تتحكم في الحواسيب وقواعد البيانات والتوجيه الآلي وتنشيط وسائل التواصل الاجتماعي، وكلمة خوارزميات نسبة إلى العالم محمد بن موسى الخوارزمي الذي عاش في بلاط الخليفة العباسي المأمون. فمن الضروري ألا يقتصر المثقفون العرب على القضايا الكلاسيكية في الفلسفة والحضارة وأن يفتحوا أيضاً على ما دعونه بالقضايا الحضارية الجديدة، لفهمها على الأقل واستشراف تبعاتها على مجتمعاتهم. وسيكون من المفيد تعريب مؤلفات يكتبها متخصصون قادرين في الآن ذاته على فهم المواضيع وتبسيطها لعامة القراء، وهذا الأمر ليس بالهين نظراً لتشعبها وطابعها التقني ومصطلحاتها الكثيرة التي لم تدخل بعد ميدان اللغة السائدة.

عنوان الكتاب: لا بيانات: أية حرية في عالم رقمي؟
المؤلف: جون بول أيميتي Jean-Paul Aimetti
الناشر: Paris, Descartes et Cie، 2017
اللغة: الفرنسية

* أستاذ كرسي اليونسكو للدراسات المقارنة للأديان



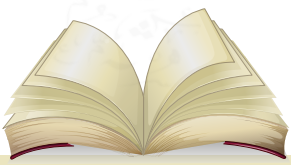
المؤسسات التجارية فحسب، بل يتعداها إلى الدول ومصالحها ويجعلها في كثير من الأحيان عاجزة عن حماية أسرارها الأمنية والعسكرية، وقد تواترت في السنوات الأخيرة الهجمات «السيبرانية» التي قد يكون من المرجح أنها صادرة عن منظمات جريمة عالمية وربما أيضاً أجهزة مخابرات دول.

لكن العالم الرقمي يفتح أيضاً آفاقاً جديدة أمام البشر، إذ يعتبر مثلاً أن الحصول على كل البيانات الصحية لمجموعة بشرية معينة يمكن أن يقدم معرفة دقيقة تسمح للطب مستقبلاً من تعديل الجينات بشكل يلغي كل الأمراض الفتاكة والمزمنة، وتشارك مؤسسة «غوغل» في برنامج عالمي ضخم في هذا الاتجاه. سيصبح أيضاً بإمكان أي أسرة أن تقتني إنساناً آلياً (روبوت) يساعد في الأعمال المنزلية ويكون قادراً على تعليم الأطفال قواعد الحساب أو اللغات الأجنبية. وتعمل عدة مؤسسات عملاقة على تطوير إنسان آلي يمكن أن يصاحب الأشخاص المتقدمين في السن أو حاملي الإعاقة، ويمكن لبعضها ألا يكتفي بتقديم المساعدات «المادية» لسيده بل يكون قادراً أيضاً على التلطف ببعض العبارات والجمال اللطيفة والتفطن إلى حالته النفسية والمبادرة بتصرفات من شأنها أن تخفف عنه الغضب أو الخوف أو القلق. يبدو أيضاً أننا اقتربنا من مرحلة تسويق سيارات آلية تعمل دون سائق، تعمل مثل الطائرات بالتوجيه الآلي. لكن يمكن أيضاً أن يصنع إنسان آلي يبرمج لخوض الحروب أو القيام بتفجيرات إرهابية. ففي السنة الماضية، وقّع بيل غايتس (صاحب مؤسسة «ميكروسوفت») وستيفن هاوكينغ (أحد أشهر علماء الفيزياء المعاصرين) على رسالة مفتوحة تحذر من خطورة الظهور القريب للروبوتات القاتلة (إنسان آلي مبرمج للقتل)، بما يؤكد أن المخاطر حقيقية وإلا لما تجاسرت شخصيات مشهورة على التحذير

يتوقع أيميتي بأن تستفحل هذه الظواهر، فقد انتصر الذكاء الرقمي على الذكاء الإنساني منذ أن انهزم، ذات يوم من سنة 1997، غاري كسباروف بطل العالم في الشطرنج، أمام إنسان آلي من إنتاج مؤسسة «أي بي أم» الرائدة عالمياً في مجال الرقمنة. وتتضاعف قدرات الحواسيب حالياً كل سنتين. وقد نشأت أجيال من الشباب أصبحت الاستعمالات الرقمية جزءاً لا يتجزأ من حياتها اليومية. ثم إن ميدان المعاملات الرقمية، الذي يبدو عالماً تلقائياً ومفتوحاً ومجانياً، هو عالم أرباح خيالية، فلئن كان الدخول إلى «غوغل» مثلاً مجاناً ومتاحاً إلى الجميع، فإن ترتيب المؤسسات في هذا المحرك للبحث يحقق أرباحاً خيالية (على سبيل المثال، تدفع تطبيقه حجز الفنادق «بوكينغ كوم» مليار دولار كل سنة لترد في أعلى القائمة على محرك البحث) وإذا كانت تطبيقه مفتوحة مثل «إيبر» تساعد الناس العاديين على حجز سيارة بأقل تكلفة، فإنها تمثل إمبراطورية مالية قدرت قيمتها سنة 2016 بسبعين مليار دولار أمريكي.

الإدمان على الإنترنت أصبح أيضاً مرضاً من أمراض العصر، ويعتبر مدمناً، حسب المتخصصين، كل شخص يقضي أكثر من ثلاث ساعات في اليوم لاستعمال الإنترنت بأي شكل كان، عدا الاستعمالات المرتبطة بالالتزامات المهنية. ويتوقع أن يصبح كل الأطفال اليوم مدمنين في المستقبل لأنهم تعودوا بالإنترنت منذ نعومة أظفارهم وسيترتب على ذلك مثلاً تراجع قدراتهم اللغوية، إذ أن اللغة المستعملة في التطبيقات ووسائل التواصل الاجتماعي هي لغة مبسطة وفقيرة في مصطلحاتها ومفاهيمها، عكس لغة الثقافة المكتوبة. ويقول أيميتي إن الحضارة البشرية قد تطورت منذ ظهورها باتجاه الرفع من مستويات التعقيد اللغوي، وإن هذه أول مرة في التاريخ ستشهد فيها الحضارة اتجاهاً عكسياً. من جهة أخرى، يتمثل الفارق بين جيل اليوم وجيل المستقبل في أن الثقافة الرقمية تمثل بالنسبة للأول مصدر معلومات أساساً، بينما ستمثل مصدر معلومات ومنهجاً للتفكير في الآن ذاته للجيل الثاني. فآليات التفكير وصياغة المواقف ارتبطت لديهم ارتباطاً وثيقاً بالاستعمالات الرقمية منذ الصغر. بل إن الأمر سيؤثر في كل مستويات السلوك، إذ يقدر أن خمسين بالمائة من حالات انتحار المراهقين في الغرب مرتبطة بالعالم الرقمي، لأن هؤلاء أكثر تأثراً بالإشاعات التي تنتشر على الشبكة العنكبوتية أو عمليات الابتزاز التي يقعون ضحيتها على هذه الشبكة بواسطة قرصنة معلوماتهم الشخصية وصورهم.

وتمثل القرصنة وجهاً آخر للمخاطر المحدقة في العالم الرقمي، إذ أنها لا تمثل مجرد مسألة عابرة بل تحولت إلى نشاط عدواني شديد التطور وشبيه بالحروب، لا يوقع الأضرار بالأشخاص أو



ديانات قديمة.. سياسات جديدة المثال الإسلامي في ضوء المنظور المقارن لمايكل كوك

محمد الشيخ *

هذا كتاب، كما يقر صاحبه في مفتحه وفي محتتمه، اختمر في ذهن مؤلفه لسنوات عدة، واقتضى إنجازه زمنا غير هين، على الأقل منذ عام 2002. وعلى الرغم من طول عشرة مؤلفه للأديان الثلاثة، التي هي الهندوسية والمسيحية والإسلام - وعشرته للإسلام منها على وجه الخصوص الذي هو المقصد المتيمم في الكتاب بأكمله - فإن هذه العشرة لم تولد في صاحبها ضربا من «الأنسة» و«الألفة»، بل «المودة»، مع ذلك الدين الذي قد تنشأ عن معاشرته أو عن معاشرته أهله. ولهذا يفترض هذا الكتاب في قارئه أن يكون عن كل هوى عقدي بمعزل، أن يحبس أنفاسه عند كل حكم جريء بل مجازف. فالكتاب يشهد في بعض فقراته على الحالة الإسلامية، التي يعتبرها حالة استثنائية بين الأديان، وقد يلين في أحوال أخرى، لكنها نادرة. وهو في مجمله وإن بحث في أحوال الأديان الثلاثة في صلتها بالسياسة الحديثة بضرب من البحث المقارن، فإنه كان بالحالة الإسلامية أشد ولعا وتهوؤا؛ إذ اعتبرها الحالة الإشكالية بامتياز. هو إذن كتاب ظاهره المقارنة وباطنه الإدانة.

الثالث على الطرائق التي تتصل بها الأديان الثلاثة بمختلف أشكال الثقافة. وهو يحاول إبراز الفوارق بين هذه الطرائق في تفاعل الأديان الثلاثة مع الحداثة بالقدر الذي تدعي فيه هذه التقاليد السيادة على مجالات ثقافية معينة، وبالقدر الذي تلتزم فيه هذه الديانات أو مناصروها بالحفاظ على هذه السيادة. ولربما كانت التعارضات بارزة هنا في المجال التشريعي أكثر، بحيث يتساءل الباحث عن دور التشريعات في الانسجام مع متطلبات العالم الحديث، وعمّا إذا كان ما يسميه «الغيرة الإلهية» التي لا تقبل منافسة غير الرسالة الدينية تسمح لأتباع الديانات بالاجتهاد في أمور دنياهم والانسجام مع مطالب التحديث. أما الفصل الرابع فينقلنا من خلاله المؤلف إلى الحديث عن تصورات التنظيم السياسي. إذ من جهة، يظهر أن الأديان الثلاثة تتقاسم جملة من الصلات الوثيقة بنظام «الحكم الملكي» في معظم تاريخها، لكن من جهة أخرى يظهر تميز «نظام الخلافة» عن «النظام الملكي» وجاذبية ذلك النموذج في الحكم في زماننا هذا لدى أصوليي العالم الإسلامي. وفي كل واحد من هذه الفصول تم التركيز على الحالة الإسلامية أكثر من غيرها، بناء على أطروحة الباحث الأساسية القائلة بأن الحالة الإسلامية حالة استثنائية، وهي بدع بين الأديان.

وينصب اهتمام القسم الثالث من الكتاب على «الأصولية»، التي يعني بها المؤلف اختيار العودة إلى أصول كل إيمان على حدة، وتفضيل الأوبة إلى منابع الأولى لكل دين. وهنا يعود المؤلف - منهجيا - إلى أتباع التنظيم الذي كان قد اصطنعه في القسم الأول؛ بحيث يخص كل دين بفصل مستقل. والأسئلة الأولى التي يطرحها هي: إلى أي حد يكون كل دين مستعدا إلى «أصالته»؛ أي إلى هيمنة الأصولية عليه واستنثارها به؟ وإلى أي مدى أولئك الذين يذكرون بتقليد هذا الدين في السياسة الحديثة يعدون بالفعل «أصوليين»؟ وفي حالة الجواب بالإيجاب، ما الذي تكسب إياهم أصوليتهم؟ والحال أن المؤلف يجد أن الجواب عن السؤالين الثاني والثالث بالخصوص يتباين تبائنا شاسعا بين الأديان الثلاثة. وتظهر هذه الفصول بدورها لماذا هي الحالة الإسلامية حالة متميزة. إذ ينكر المؤلف وجود أصولية هندوسية لأسباب عدة منها عدم تقديس كل الطوائف الهندوسية لكتب الفيدا، وأن احترامها عائد عندهم إلى عتاقها لا إلى صلاحيتها في كل زمان ومكان. ولئن كانت ثمة شبهة أصولية في الهندوسية فما كانت إلا ردة فعل ضد الأصولية المسيحية الغازية. كما أنه لا أصولية كاثوليكية، وإنما الأصولية بروتستانتية. أما الإسلام فإنه شكليا دين قابل للأصالة حسب اعتقاد المؤلف.

مفترضات الكتاب

والحال أنه ككل كتاب، يقوم هذا الكتاب على افتراضات. وهي في عداد

أقسام الكتاب وفصوله:

ولكي يبسط المؤلف هذه الأطروحة، قام بتقسيم كتابه إلى ثلاثة أقسام كبرى:

قسم أول دار على دور التقاليد الدينية الثلاثة في تشكيل الهوية السياسية الحديثة. والبيئة الأساسية في هذا القسم هي أن الإسلام يوفر هوية سياسية لا تتكافأ من حيث أهميتها مع ما توفره الهندوسية، فبالأحرى المسيحية. ويتكون هذا القسم من فصل أول يسعى إلى إقامة الموازنة بين شكلي الهوية السياسية. الشكل العرقي والشكل الديني. في العالم الإسلامي العتيق، أكان عربيا أم لا. وهو يقيس مدى صلابته الهوية السياسية المسلمة في الأزمنة ما قبل الحديثة. وينتهي إلى التساؤل حول ما الذي أفضت إليه الموازنة القديمة، لا سيما منها ما تعلق بالهوية الإسلامية، تحت الظروف الحديثة؛ فيجد أن «الأصوليين» هم أكثر الناس تشبها بالهوية الدينية هوية سياسية لهم تتجاوز الأوطان. أما الفصل الثاني، فمداره على بيان المدى المحدود الذي يوفره التقليد الهندوسي للهوية الهندوسية، على خلاف ما يوفره الإرث الإسلامي للهوية الإسلامية، كما مداره أيضا على عرض مزيج النجاح والإخفاق الذي شهدت عليه مختلف محاولات القوميون الهندوس بغاية تصيير الهوية باعثة أو صارفة في السياسة الهندية في السنوات الأخيرة. ويتم الفصل الثالث البيئة الأساسية لهذا القسم الخاص بالهوية، وذلك بالبرهنة على أنه في سياق أمريكا اللاتينية فإن سياسة هوية مسيحية من هذا الجنس تعد أمرا يصعب الحديث عنه، أكثر مما هو صعب الحديث عن تشكيل الهندوسية للهوية الهندية. وبهذا، يتم المؤلف حديثه عن تفرده الهوية الدينية، في الحالة الإسلامية، بفعاليتها النشيطة كمطلب يراد بناء عليه إقامة النموذج الإسلامي.

أما مدار القسم الثاني من الكتاب، فهو على مساهمة الموارث الثلاثة. الإسلامي والهندوسي والمسيحي. في قضية «القيم» في العالم الحديث. وتنظيم هذا القسم مباين لتنظيم القسم الأول. إذ أن كل فصل مخصص إلى قيمة معينة، ويغطي الأديان الثلاثة مجتمعة هذه المرة لا منفصلة. هكذا، فإن الفصل الأول يهتم بالقيم الاجتماعية، وبيحث في ما إذا كانت القيم المجسدة في كل تقليد تشكل فواعل إيجابية - بواعث - أم سلبية. صوارف. في السياسة الحديثة. وفي كل حالة يتم التركيز على سمة خاصة من سمات دين معين، وفحص أثرها، بحيث تختلف السمات اختلافا كبيرا عن بعضها البعض. وفي الفصل الثاني ينتقل المؤلف إلى الموقف من «الحرب». والذي يجعله - ويا للغرابة «قيمة» من القيم! - وهو يركز بالأولى على قيمة «الجهاد» وتكلفته في العالم المعاصر، وإلى أي حد يمكن أن توجد ظاهرة موازية له في كل الديانتين الهندوسية والمسيحية، وينتهي إلى تفرده الإسلام بظاهرة الجهاد. ويدور الفصل

إشكالية الكتاب

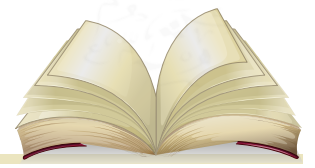
في تقديمه للكتاب، يشير المؤلف إلى أن من شأن كل من يعيش في عهد التبشير الأولى من القرن 21 ويتابع الأنباء عن كتب، أن يلاحظ، لا محالة، الدور الذي تلعبه الأديان في السياسات الحديثة. على أن هذا الدور ما كان بين الأديان بالدور المتكافئ، وإنما الإسلام فيه بالنصيب الأوفر يحظى. لكن، لما كان الأمر على هذا النحو؟ هل ثمة، يا ترى، «شيء» ما، سواء في «شكل» التقليد الإسلامي أو في «محتواه»، يجعل من اللوذ بهذا الدين خيارا جذابا للأفراد أو للجماعات المسلمة النشطة سياسيا في السياق المعاصر؛ «شيء» يفترض أنه لا يوجد في التقاليد الدينية الأخرى وإنما ينفرد به الإسلام كل الانفراد؟ أم هل ثمة من سبب يفسر كيف أن المرء يمكن أن يفهم سياسة الهند وأمريكا اللاتينية فهما تماما من غير أن يؤوب إلى كتابات العصور الوسطى الهندية والمسيحية، بينما لا يستقيم له أن يفهم سياسة العالم الإسلامي المعاصر من دون أن يكون قد سمع بابن تيمية؟

هو ذا السؤال المحوري الذي يحاول هذا الكتاب أن يجيب عنه ولو جوابا جزئيا. وذلك بحكم العاملين التاليين: 1- لأنه ما كان للمؤلف أن يعالج الموضوع المعالجة الشمولية. وقد اعتر عن ذلك بأن ما لا يُلمُّ به من الموضوع. على الرغم من سعة اطلاعه. أكثر بكثير مما يُلمُّ به منه. 2- لأن تركيزه سوف ينصب بالأولى على الفوارق بين التقاليد الدينية الثلاثة أكثر مما سيهتم بالسياسات الثلاث.

وحتى يتسنى للمؤلف تحقيق بغيته تلك، عمد إلى مقارنة «الحالة الإسلامية، باصطناع المنهج التاريخي المقارن؛ أي بمقارنة دور الإسلام في السياسة الحديثة مع الدورين الذين تلعبهما الديانة الهندوسية في الهند والديانة المسيحية في أمريكا اللاتينية.

أطروحة الكتاب الرئيسية

وأطروحة المؤلف الأساسية بهذا الصدد، والتي ما فتئ يناقح عنها، هي أن التقاليد الدينية الثلاثة توفر بواعث. عوامل إيجابية - وصوارف - عوامل سلبية. متباينة تبائنا دالا لأولئك المنخرطين في لجاج السياسة المعاصرة. وهذا ما يجعلها تختلف. ترغيبا وترهيبا. عند مثل هؤلاء الفاعلين، وذلك بحسبانها موارد للتوظيف السياسي. ويقر المؤلف بأنه عامل هذه المصادر كما لو كانت هي «قوائم طعام» توفر للفاعل السياسي «وجبات»، إن لم تكن قسرية، فإنها على الأقل جذابة. وبناء عليه، انتهى إلى أن الإسلام أكثر الأديان قابلية للتوظيف في مسألة الهوية السياسية وفي شأن الدفاع عن القيم التقليدية، وفي أمر إحياء التنظيم السياسي الخلافي العتيق - نسبة إلى الخلافة - في عالمنا الحديث. وهو يشكل بذلك ظاهرة استثنائية أمام ضعف الإسهامين - الهندوسي والمسيحي - في المساهمة في صياغة وصناعة سياسة العالم الحديث.



الافتراضين:

أولاً: لا يجادل الكتاب في أن ثمة فوراق جوهرية بين الأديان الثلاثة، سواء من حيث القيم التي تؤمن بها، أو من حيث قابليتها للتوظيف السياسي، أو من حيث مآلها في العالم الحديث.

ثانياً: لا يؤمن صاحب الكتاب بأن التقاليد الدينية تقع طوع يدي المفسرين والمؤلفين، وذلك كما لو أن كل تقليد يقبل أن يُؤوّل بنجاح لكي يُقوّل بكل ما أُراده منه قارئه، وأن كل التاويلات. أيّان كانت وأنى كانت. تكون مقبولة عند أتباع ذلك الدين. ذلك أنه تُننّ كان من شأن التقاليد أن تتغير تحت تأثير التفسير والضغط، إلا أن ذلك يتم بالتدرج وضد ضرب من الجمود على المسطور. إن من شأن الهويات. التي تهم الناس والذين هم في أغلبهم مستعدون للموت من أجلها. كما من شأن القيم أن تتغير، لكنها ليست في ذوبان دائم كما يدعي أهل الخطابة من الباحثين الأكاديميين أحياناً. إذ لا بد للهويات من مستقر حتى تتمكن من أن يكون لها دور تلعبه. ومن هنا تختلف نظرة المؤلف عن نظرة أولئك الذين يقولون بأنه لا وجود لماهية متعالية اسمها «الإسلام»، وأن كل ما يوجد هناك إنما هو «إسلامات»، أو «تمظهرات» تعددية لإسلام لا وجود له إلا في الأذهان. وإذا يقر جون كوك باللونيات المحلية التي يتلون بها الإسلام، فإنه يؤمن بأن الاعتقاد القائل بأن العالم الإسلامي ليس أكثر من فسيفساء تقاليد دينية إنما هو اعتقاد مضلل.

النتائج التي ينتهي إليها المؤلف

منذ قرن ونصف انتشرت فكرة أنه في العالم الحديث على الدين أن يختفي. وتلك كانت فرضية جريئة لكنها لم تكن غبية. وبالنظر إلى حال أوروبا الغربية لا زالت النبوءة قائمة بل ومنتقنة، ولربما هي سائرة إلى التحقق في بلدان العالم المتأثرة بالنموذج التحديثي الغربي. لكنها تبدو فرضية خاطئة حين يتعلق الأمر بالعالم الإسلامي. وما حركة الإحياء الإسلامية إلا تنفيذ لها. لكن ما الذي يشكل الاستثناء هنا: أوروبا الغربية أم العالم الإسلامي؟ وأيها محق: النزعة الأوربية المتمركزة على الذات أم النزعة الإسلامية المتمركزة بدورها على الذات؟ أولاً: التبليغيون «بيشرون» بالإسلام في آسيا، والتعميدون يبشرون بالمسيحية في أمريكا اللاتينية، لكن ثمة في رأي المؤلف فرق بين التبشيرين: في العالم الغربي أمسى أغلب الناس عن الدين بمعزل، بينما في الشرق لا زالت لدين قوته. ثانياً، ثمة انتشار بحدّة لدور الإسلام في السياسة. على مستوى الهوية السياسية والقيم الإسلامية وسياسة الدولة الإسلامية. الشيء الذي لا نظير له بالمرّة لا في الدول البوذية ولا في دول أمريكا اللاتينية. وثالثاً: في ما يخص الفكرة الجهادية لا نجد نظيراً لانتشارها في البلدان غير الإسلامية اللهم إلا لدى السيخ.

إذا صح أنه يمكن أن نجد لكل سمة من سمات حركة الإحياء الأصولية الإسلامية المذكورة. الهوية، القيم، التنظيم السياسي. شبيهاً في العالم غير الإسلامي، فإنه يصح أن هذه السمات. هوية دينية قوية، قيم موروثية عن العصور الوسطى، محاولة تأسيس دولة على أساس ديني. لا توجد مجتمعة إلا في الحالة الإسلامية؛ بمعنى آخر، ما اجتمعت هذه العناصر إلا في النموذج الأصولي الإسلامي، بما يجعل منه بالفعل. في نظر المؤلف. حالة فريدة. والأخطر عنده أن النموذج المناضل السيخي والنموذج القومي الهندوسي تشكلا في ظل سيادة الإسلام في الهند وبالشبه به!

المشترك بين الحالات الثلاث - هندوسية الهند ومسيحية أمريكا اللاتينية وإسلام العالم الإسلامي - إنما الانتماء إلى العالم الثالث وما يشكله، خارجياً، من التظلم من العالم الأول، وداخلياً من الحاجة إلى صون التراث ضد التعريب المجتاح. وهنا تألّف التحدي والمحافظة وإخفاق التعاون والتناقص اللهم إلا في ما ندر- وتبدو الحلول، في رأي المؤلف، بلا أفق- وكثير من المسلمين يجدون أنفسهم في كماشة هذا

الوضع العصيب الذي يخلق في أنفسهم ضرباً من الفصام: إرادة الجمع بين قيم الإسلام وقيم الليبرالية معاً. وفي ظل هذا الوضع يشكل الاحتفاء بالتراث الزاد الاحتياطي. والتراث الإسلامي يوحد العالم الثالث في جبهة عريضة مانحة إياهم موارد يمكن استعمالها في التفكير وفي الإحساس وفي الكلام. لكن لا تراث يتحدث إلى أهله بصوت واحد، ومن ثمة الجلبة التي تجتاح العالم الإسلامي.

بالمقارنة مع الحالتين الأخريين. الهندوسية والمسيحية. نجد أنه في الحالة الأولى لا شيء مهم في التراث الهندوسي يمنحه حتى يساهم به في رسم معالم الإيديولوجية السياسية الهندية المعاصرة. وإنما يقدم فقط هوية سياسية ضعيفة غير جذابة لقطاع عريض من السكان. وهو لا يشكل أهمية في النضال ضد الأجنبي. وليس ثمة من اهتمام بفكرة دولة واحدة تحكم كل الهندوس. وإرثه الاجتماعي الثقيل - طائفة المنبوذين - لا يساعد في تحقيق ذلك- كما يفتقد إلى القيم التي تتناغم مع قيم الغرب الحديث- ونظام الملكية - العنصر السياسي الوحيد الموروث- لا يتلاءم مع الشروط الحديثة. ومن شأن الأصولية، إن هي اجتاحته، أن تزيد الأمور سوءاً على الأقل بخلق هوة سحيقة بين المحافظين والأصوليين. وأغلب النصوص الشرعية الهندوسية يمكن تجاهلها لفرط عناققتها. والأمر نفسه يمكن أن يقال عن وضع التراث الكاثوليكي في أمريكا اللاتينية؛ إذ لا يسهم كثيراً في الوضع الحالي، ولا يلعب دوراً يذكر في الهوية السياسية. وهو تراث متناقض في ما يخص النزعة النضالية. ويفتقر إلى رؤية واضحة للمجتمع والتنظيم السياسي. والاستثناء الوحيد الحي فيه هو المكانة الاعتبارية التي يعطيها للفقير، وهي سمة مكتوبة في النصوص المقدسة تتناغم بقوة مع النزعة اليسارية الحديثة.

فإذن، النموذج الإسلامي، وحده بين النموذجين، هو النموذج الذي لا زال يحظى بالجاذبية، على مستوى الهوية السياسية وتصور القيم (المجتمع، الحرب، الشرع) والتنظيم السياسي، لدى أتباعه.

لكن، متى سيفقد هذا النموذج جاذبيته؟ يقر المؤلف بأن لا فكرة له في هذا الشأن، وإن كان متأكداً من أن ذلك لا محالة حادث في زمن من الأزمان، بناء على أسس رخوة من أن لا شيء يدوم، وأن الأيديولوجيات تملك من المقدرة على الدوام نصف ما تملكه الأديان. ثمة إذن احتمالات خمسة:

الاحتمال الأول: أن تستمر الأمور على ما هي عليه منذ نهاية الحرب الباردة.

والاحتمال الثاني: أن ينتصر الإسلاميون في العديد من بلدان العالم الإسلامي، وأنها إما ينقش وهمهم فتتجلى سلطويتهم عند ممارستهم

للسلطة، أو يكيفون أهدافهم مع المحيط الديمقراطي فيقطعون مع منطوق إحياء الشريعة وإقامة الدولة الإسلامية ويكتفون بتقديم أنفسهم على أنهم أبطال للقيم الاجتماعية المحافظة وكمحافظين على الرمزية الدينية. والسيناريو الأول هو النموذج الإيراني، والسيناريو الثاني هو النموذج التركي.

والإمكان الثالث: نزوع الإسلام نحو اختزال وجهه السياسي بحصول إصلاح ديني شبيه بالإصلاح البروتستانتي يسمح بازدهار القيم الليبرالية. على أن المؤلف يذكرنا بأنه لا ينبغي لنا أن ننسى أن الإصلاح الديني الأوربي نفسه أطلق الكثير من التعصب من قممته؛ مما يدعو إلى نموذج إسلام متنور أكثر منه إسلاماً إصلاحياً. وهنا يجد المؤلف أنه يمكن أن يُطرح التصوف باعتباره نزعة روحية غير سياسية، على خلاف الأصولية المسيحية. لكن المؤلف يجد أن هذا الطريق ليس بدوره مضموناً. على أنه على مر الأيام يتعب الناس من تسييس الدين، وقد لاحظ قس أمريكي آمن بالمسيحية السياسية بعد أن انقشع عنه وهم النضال السياسي: «عندما تخطل السياسة بالدين لا تحصل في النهاية إلا على السياسة».

والإمكان الرابع: انبثاق نظام اعتقاد دنيوي ليحل في المحل الذي تركه أفول الماركسية فارغاً. وهنا يرى المؤلف أن المثقفين المسلمين يحتاجون إلى أن يكونوا مؤهلين لتبني طرائق الغرب الحديث من غير أن يشعروا بالخجل كما لو كانوا متعاونين مع الغرب، وفي نفس الوقت أن يعارضوا قوة الغرب من غير أن يشعروا بأنهم ضد حركة التاريخ، وأن لا أمل لهم. ذلك أن فراغ الساحة من مثل هؤلاء الذين يجابهون التراث والغرب معاً هو أحد أسباب بروز النزعة الإسلامية في العشرين سنة الأخيرة. على أن هذا أيضاً أمر قد يحدث، وقد لا يحدث.

والإمكان الخامس: وهو الذي يدعوه المؤلف «النموذج الكاثوليكي»، وهو نموذج المصالحة بين الدين والتقدم والليبرالية والحضارة الحديثة على نحو ما فعلت الكاثوليكية بعد أن كانت قد عادت بأشدّ عداوة يكون هذه القيم لزمن مديد.

تلك هي أهم الأفكار والنتائج التي وردت في هذا الكتاب. بعضها قد يسهل على القارئ المسلم فهمه، وبعضها قد يعسر عليه. لكن، مهما اختلف تقييمنا للكتاب فإنه لا بد من التنبيه على بعض فضائله. ومنها أنه يقدم لنا من بين ما يقدمه درساً في أخلاقيات التأليف الأنجلوسكسونية، بحيث لا يكاد الكتاب يذكر فكرة متفردة إلا ويعزوها إلى من أفادها منه، فيقول: «أفادني هذه الفكرة فلان...» و«نهبني إلى هذه الفكرة فلان...»، وأنا مدين بهذه الفكرة إلى فلان... وبعد، هل بقي لنا مكان لأن نذكر هنا بأن الحضارة الإسلامية كانت من الحضارات السبّاقة إلى أفراد «أخلاقيات التأليف» بكتب نادرة؟ أم نحتاج إلى التذكير بأن جلال الدين السيوطي كتب كتابه «التعريف بأداب التأليف» ونبه فيه على فضيلة عزو الأفكار إلى ذويها؟

عنوان الكتاب: ديانا قديمة، سياسات حديثة

Ancient religions, Modern Politics
The Islamic Case in Comparative
Perspective

المؤلف: مايكل كوك Michael Cook

الناشر: Princeton University Press

مكان النشر: الولايات المتحدة الأمريكية

عدد الأقسام والفصول: ثلاثة أقسام وعشرة فصول، فضلاً عن مقدمة وخاتمة وضميمة وببليوغرافيا وجرّد أسماء ومفاهيم

عدد الصفحات: 416 صفحة

* أكاديمي مغربي

حالياً في الأسواق

مجلة التفاهم

عنوان العدد: مناهج النظر والتصرف بين العدل والإحسان

افتتاحية العدد: العدل والإحسان في المجتمعات والدول - عبد الرحمن السالمي

مدن وثقافات

- القاهرة في عيون ناصر خسرو : محمد فوزي رحيل.

الإسلام والعالم

- التسامح، الاعتراف والتحرر: تأليف راينر فورست، ترجمة عن الألمانية: محمد عبدالسلام الأشهب.
- الطرق (الصوفية) والمدنية دار الإسلام وما وراءها.

المحاور

- العدل والإحسان في القرآن الكريم مناهج النظر والتصرف: احميده النيفر.
- قيم الإحسان والخير وتحقيق العدالة في المجتمعات الإسلامية الوسيطة: وفيق بن محمد حجازي.
- رؤى العدل والمسؤولية ورؤى العناية والرحمة عند المتكلمين المسلمين: رضوان السيد.
- العدل والقانون في فلسفة الحق والسياسة والأخلاق الإغريقية: أنموذجاً أفلاطون وأرسطو: محمد الشيخ.
- نظام العدالة ونظام حكم القانون بين كانط وجون رولز: أمل مبروك عبدالحليم.
- رؤى الشريعة والقانون والسنن في أعمال مفسري القرآن المحدثين تفسير المنار أنموذجاً: محمد حلمي عبدالوهاب.
- الدين باعتباره أخلاقاً وإحساناً لدى بعض المفكرين المسلمين المعاصرين: ناجي حجلوي.
- مصادر المعرفة للاقتصاد الإسلامي وتأمين تحقيق التقدم والعدل: رفعت السيد العوضي.

دراسات

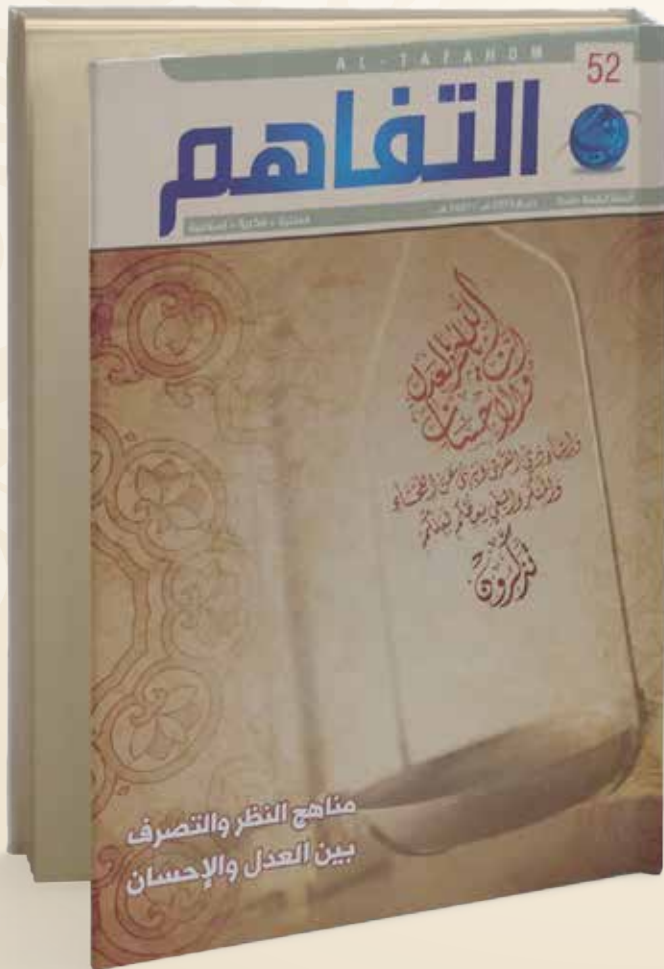
- التفسير والتأويل : الافتراق والتواصل وابعادهما : سعاد كوريم.
- إسهام (مسلمة القرطبي) في تأليف موسوعة إخوان الصفا: ويلفرد مادلونج.
- الفكر الإصلاحى : مفهوم ودور العمانيين فيه : سلطان الحجري.

وجهات نظر

- فكر الاستشراق في الثقافة العربية بين موجبات التفعيل وأسباب التعطيل : العياشي ادراوي.
- النظام المالي العالمي والنظرة الشرعية حول العملة الرقمية: محمد السالمي.

آفاق

- أخلاقيات التحقيق : فيصل الحفيان.
- إشكالات معرفية ومنهجية بين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية: أحمد الفراك.



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف : ٢٤٦٤٤٠٣١ - ٢٤٦٤٤٠٣٢ ، فاكس : ٩٦٨ ٢٤٦٠٥٧٩٩

البريد الإلكتروني : tasamoh@gmail.com - al.tafahom@gmail.com - www.altafahom.net